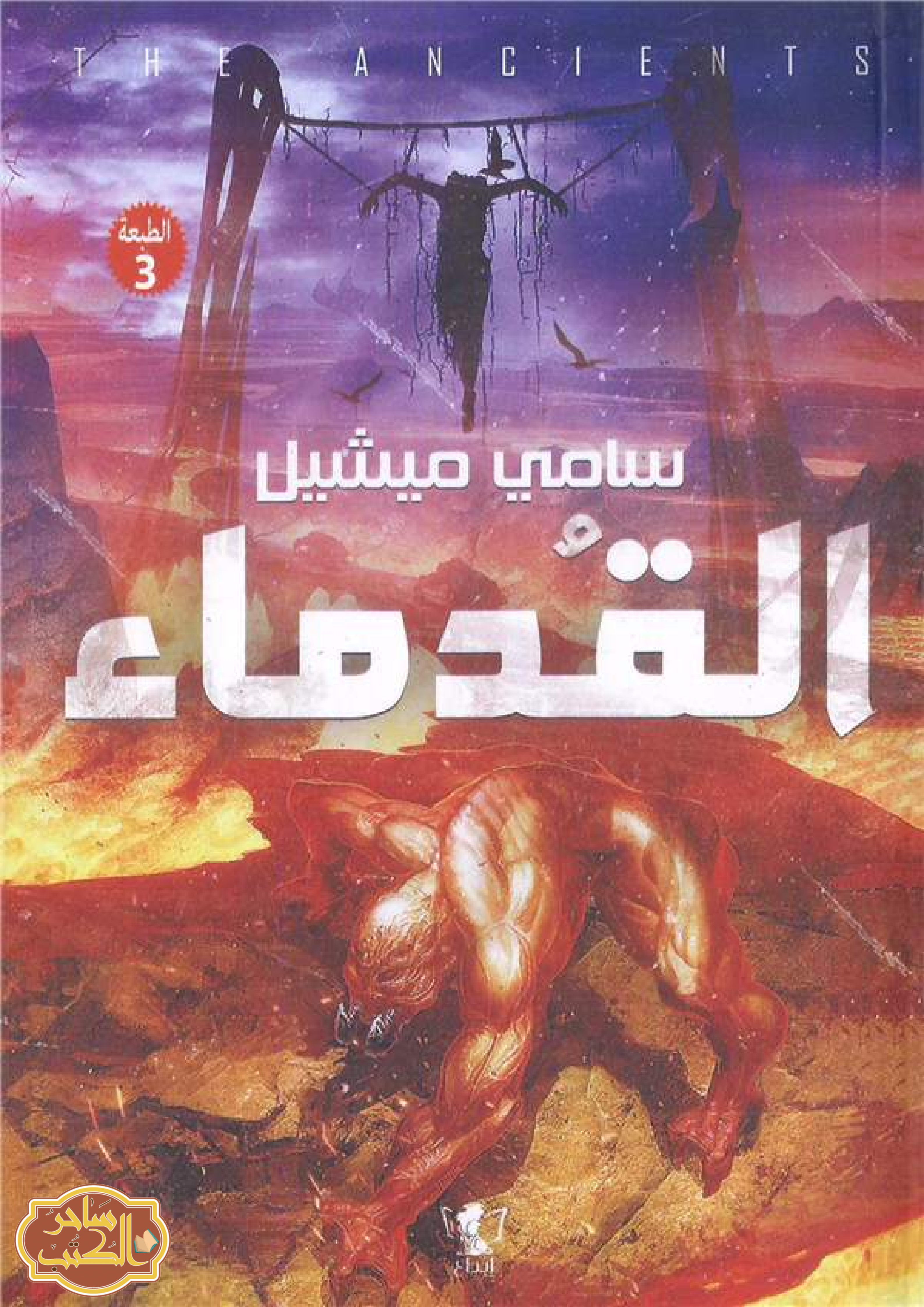

THE ANCIENTS
الطبعة
3
سامي ميشيل
القدماء
إبداع
ساحر الكتب

اســـم الكتاب: القدماء - الأرض الخامسة

المــــؤلـــف: سامي ميشيل

تصميم الغـــلاف: إسلام مجاهد

المراجعة اللغوية: مها سيد

الطبعة الأولي: أغسطس 2019

رقم الإيـــداع: 13918 / 2019

الترقيــم الدولـي: 5 - 258 - 779 - 977 - 978

الإخـراج الفنـي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com



العنوان: 10 ش هدى شعـــراوي، وســط البـــلد، القاهــــرة

هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

ibda3bookstore@gmail.com

القُدماء

الأرض الخامسة

رواية

سامي ميشيل



القدماء هنا في عالمنا ليسوا الأجداد، بل هم القوة القادرة على إحراق الكوكب.

(1)

لفح الهواء الأشجار الثابتة بالخارج فاهتزت لتَنُم عن طقس بارد يهلك العظام فور ارتطامه بها. لم تنبس السماء بالمطر رغم كثرة سحبها التي أخفت العديد من خبايا القدر نَحو لاعنيه، ووقف القَمر في مُنتَصف السماء يَشُق أديم الليل بخيوطه الثقيلة المترنحة على جوانب الطريق الخالي من المارة والمَشرحة التي حَوت جثث وأشلاء وأعضاء جسدية ازدانت بالسواد. داخل المبنى مضى راغب ذو الثلاثين ربيعًا بجسد متناسق وعينان سوداوان تقبعان خلف نظارة طبية، وشعر أسود كثيف نحو غرفة المَشرحة وهو يُفكر مليًا في المستشفى التي يَحلُم دومًا بامتلاكها حتى اقترب من باب المَشرحة وأغلقه، وقف في الجانب الأيمن من الغرفة محَركًا ساعده باتجاه حقيبته الجلدية الصغيرة وفتحها مُلتقطًا منها علكة بنكهة الفراولة ووضعها بفمه سريعًا وارتدى قفازين في يديه وكمامة بأنفه، ثم فتح ثلاجة جثث مستطيلة الشكل وكبيرة الحجم وتحمل في طياتها أجسادًا تعيش بسبات تام يخلو من الحياة، وسحب للخارج طاولة بلا أرجل مثبت عليها جثة فتاة يرتسم على وجهها شبح ابتسامة جعل قلبه يخفق عند رؤيته، فرغم مرور سنين عديدة على عمله بالمشرحة لكن قلبه لا يزال يخفق حينما يرى الجثث لأول مَرة قبل تشريحها. رفع الطاولة بخفة تَنُم عَن جسد لم تَتركه الرياضة والصحة كصديقتين لا تفرقهم الأيام، ووضع الطاولة بالجثة على طاولة أخرى ذات أربعة أرجل، ثم اتجه ناحية أدواته الحديدية التي يستخدمها

لمعرفة ما تضمره أجساد الموتى من حين لآخر، فتختلف أسباب سرقة أرواحهم ما بين حوادث طُرق، وقتل، واغتصاب، وانتحار، وغَرق، وينتهي بهم الحال دومًا بكتابة تقرير الوفاة وإسناد الجثة للمقابر، فتنهشها الديدان التي تُصبح سمينة بعد ذلك.

أخذ في مضغ علكته وتأمل وجه الفتاة الأبيض وشَعرها الكستنائي وجسدها المتناسق، ولعَن الموت في سره لأنه اقتنص هذا الملاك بدون رَحمة، كأسطورة التنين الذي يظهر سنويًا بميعاد مُحَدد ليقتل أجمل فتاة يعطيها له الملك بلا قَلب، كاد يسبح في أحلامه ويغدق الفتاة حنانه لولا صوت وقوع كوب زجاجي انتزعه من غياهب الخيال وجعل قلبه يخفق بخوف، فالتفت وراءه وسَب الكوب ثم فتح سماعاته الصَغيرة الموجودة بالأرض وضبط محطته المفضلة بالراديو، حيث تخصص وقتها مِن منتصف الليل حتى قبل ظهور خيوط الصباح لأغاني أم كلثوم وعبد الحليم وشادية وأسمهان، هو لا يحبهم لكنه يفضل موسيقى أغانيهم التي تَبعَث بداخله طمأنينة.

تَلبَدت المَشرحة بالموسيقى التي اختلطت مع رائحة الفورمالين النفاذة المقحمة للعين والأنف، ووضع راغب مَشرطه فوق صَدر جثة الفتاة وحَركه بالعَرض من اليمين لليسار فبَرَزَ الجلد الداخلي وأسفله الدهون ذات اللون البُرتقالي الداكن، وانبعثت رائحة كانت تعرف طريقها نحو أنف راغب الذي قام بتحريك المشرط هذه المرة بشَكلٍ طولي من بين ثَديي الفتاة وصولاً لقبل فَرَجها مكونًا حَرف (T) فوق بدنها، فزادت الرائحة لكن للكمامة التي وضعها فوق أنفه مفعولاً أثبت نَفسه بعض الشيء في العَزل. وضع المشرط بجانبه وأخذ أداة أخرى تُشبه المِلقاط

وهو مازال يمضغ علكته مُستَمتعًا بما يفعله والشغف يبعد عنه القنوط.

أمسك طبقة الجلد التي فتحها في صَدر الفتاة وجذبها بساعده الأيسر بقوة بالأداة التي تشبه الملقاط، وبيده اليُمنى يقوم بتَقطيع طبقات الجلد من خلال المشرط فيفصلها عن القفص الصدري الذي بدأ في الظهور تدريجيًا، وبعد أن فصل اللحم عن القفص الصدري، اتجه ناحية الفتحة الأخرى وكرر نفس فعلته السابقة حتى ظهرت أعضاء الجسد تندرج أسفل القفص الصدري، وبمباغته مفاجأة انقطع التيار الكهربائي أخذًا معه صوت الراديو وطمأنينة راغب التي ما كادت تختفي، فشَق الظلام بصوته قائلاً:

-ليلتنا فُل إن شاء الله.

*****

داعبت الشمس من فوق السحب على استحياء حديقة منزله الصَغيرة، وشرعت رياح يناير تَعصف بالعظام وتغطي الشوارع، وتزلزل أركان الشُرفات بالمنازل، لكنهُ يَعشق الشتاء ويعشق تأمل البيوت القابعة أمامه وما تُضمره كل شقة من أسرار وخلافات تنشب بين أفراد الأسرة الواحدة، فكان يستمع حسين المحمدي ذلك القعيد للخلافات مغلقًا عينيه مُتأملاً في العبارات والكلمات التي تخرج ببَعض الصرخات المَكتومة ويهز منكَبيه ورأسه كأنه يُنصت لمقطوعات موسيقية لبيتهوفن. لعَل أعوامه التي قاربت على الستين ووحدته هما الدافع الرئيس لما يفعله، وقد فكر مَليًا بأوقات كثيرة أن يتزوج ليشغل وقته لكنه خشي من غضب أبنائه.

لمعرفة ما تضمره أجساد الموتى من حين لآخر، فتختلف أسباب سرقة أرواحهم ما بين حوادث طُرق، وقتل، واغتصاب، وانتحار، وغَرق، وينتهي بهم الحال دومًا بكتابة تقرير الوفاة وإسناد الجثة للمقابر، فتنهشها الديدان التي تُصبح سمينة بعد ذلك.

أخذ في مضغ علكته وتأمل وجه الفتاة الأبيض وشَعرها الكستنائي وجسدها المتناسق، ولعَن الموت في سره لأنه اقتنص هذا الملاك بدون رَحمة، كأسطورة التنين الذي يظهر سنويًا بميعاد مُحَدد ليقتل أجمل فتاة يعطيها له الملك بلا قَلب، كاد يسبح في أحلامه ويغدق الفتاة حنانه لولا صوت وقوع كوب زجاجي انتزعه من غياهب الخيال وجعل قلبه يخفق بخوف، فالتفت وراءه وسَب الكوب ثم فتح سماعاته الصَغيرة الموجودة بالأرض وضبط محطته المفضلة بالراديو، حيث تخصص وقتها مِن منتصف الليل حتى قبل ظهور خيوط الصباح لأغاني أم كلثوم وعبد الحليم وشادية وأسمهان، هو لا يحبهم لكنه يفضل موسيقى أغانيهم التي تَبعَث بداخله طمأنينة.

تَلبَدت المَشرحة بالموسيقى التي اختلطت مع رائحة الفورمالين النفاذة المقحمة للعين والأنف، ووضع راغب مَشرطه فوق صَدر جثة الفتاة وحَركه بالعَرض من اليمين لليسار فبَرَزَ الجلد الداخلي وأسفله الدهون ذات اللون البُرتقالي الداكن، وانبعثت رائحة كانت تعرف طريقها نحو أنف راغب الذي قام بتحريك المشرط هذه المرة بشَكل طولي من بين ثَديي الفتاة وصولاً لقبل فَرَجها مكونًا حَرف (T) فوق بدنها، فزادت الرائحة لكن للكمامة التي وضعها فوق أنفه مفعولاً أثبت نَفسه بعض الشيء في العَزل. وضع المشرط بجانبه وأخذ أداة أخرى تُشبه المِلقاط

وهو مازال يمضغ علكته مُستَمتعًا بما يفعله والشغف يبعد عنه القنوط.

أمسك طبقة الجلد التي فتحها في صَدر الفتاة وجذبها بساعده الأيسر بقوة بالأداة التي تشبه الملقاط، وبيده اليُمنى يقوم بتَقطيع طبقات الجلد من خلال المشرط فيفصلها عن القفص الصدري الذي بدأ في الظهور تدريجيًا، وبعد أن فصل اللحم عن القفص الصدري، اتجه ناحية الفتحة الأخرى وكرر نفس فعلته السابقة حتى ظهرت أعضاء الجسد تندرج أسفل القفص الصدري، وبمباغته مفاجأة انقطع التيار الكهربائي أخذًا معه صوت الراديو وطمأنينة راغب التي ما كادت تختفي، فشَق الظلام بصوته قائلاً:

-ليلتنا فُل إن شاء الله.

*****

داعبت الشمس من فوق السحب على استحياء حديقة منزله الصَغيرة، وشرعت رياح يناير تَعصف بالعظام وتغطي الشوارع، وتزلزل أركان الشُرفات بالمنازل، لكنهُ يَعشق الشتاء ويعشق تأمل البيوت القابعة أمامه وما تُضمره كل شقة من أسرار وخلافات تنشب بين أفراد الأسرة الواحدة، فكان يستمع حسين المحمدي ذلك القعيد للخلافات مغلقًا عينيه مُتأملاً في العبارات والكلمات التي تخرج ببَعض الصرخات المَكتومة ويهز منكَبيه ورأسه كأنه يُنصت لمقطوعات موسيقية لبيتهوفن. لعَل أعوامه التي قاربت على الستين ووحدته هما الدافع الرئيس لما يفعله، وقد فكر مَليًا بأوقات كثيرة أن يتزوج ليشغل وقته لكنه خشي من غضب أبنائه.

صمَتت أصوات الخلافات التي انطلقت منذ لحظات تشق نور الظهر حتى رحلت أشعة الشمس وحل الليل عقدة النهار، فخَرج مِن شُرفته وهو يَضغط على لوحة التحكم بكرسيه المتحَرك وسار به إلى الداخل. نَدت منه دمعة على حاله، وأخرج عِلبة سجائره مُشعلًا واحدة ثم نفَث دُخانها وهو يتأمل صور أسرته التي ازدانت بها حوائط البَيت البيضاء؛ صور لأبنائه الثلاثة أحمد وهيثم ورغدة، لكُل منهم صورة كبيرة في بِرواز ذهبي اللون تكونت عليه طبقة رقيقة من السواد، وفوق هذه الصور تسمر برواز آخر بداخله صورته هو وزوجته ذات العيون السوداء والبَشرة البيضاء الناصعة. تذَكر بداية حياته حينما كانت لا تزال رفيقته على قَيد الكوكب، فأخرج من جيب منامته البيضاء هاتفه ذا الماركة العالمية الشهيرة، وطلب أبناءه بترتيب ولادتهم تلو الآخر، لم يُجيباه هيثم ورغدة أما أحمد فرد بحنق وطلب منه عدم مُهاتفته ووعده بأنه سيعاود الاتصال حينما يفرغ من عمله، قطب حاجبيه في حزن وتخيل رأسه تَغوص في جسد زوجته المتوفاة، وحوله أبناؤه الصغار يَلعَبون وتتطاير من أفواههم الحَلوى التي ابتاعها لهم.

*****

-حبيبي أنا نازله محتاج حاجة؟

خرجَت كلماتها برقة كبيرة، فنظر لها زوجها ذو الشَعر المُهَندَم ورد:

-لا يا حبيبتي خلي بالك من نفسك.

قبلها من فمها واستنشقت عطرهُ المُميز، وعدلت له ربطة عنقه، ثم فتحت الباب وودعته قائلة:

-عاملة لك مفاجأة النهاردة على الغذاء أنت وحازم ابننا علشان عيد جوازنا، متأكدة إنها هتعجبك.

-ربنا يخليكي ليا يا هيام، كل سنة وإنتي معانا.

تبسم فبانت أسنانه الناصعة. وجذبها بساعده الأيسر مقبلًا إياها في خدها الأيمن، وكاد يعتصرها بيديه فتركته وأغلقت خَلفها الباب.

دلفت إلى سيارتها الفارهة إنتاج هذا العام، بجَسد يَقتَرب من السمنة، وشعر طويل يتطاير، وركبت في سعادة وهي تُفَكر في هذه الليلة التي تستعد لها منذ فترة طويلة.

*****

سبح في ظلام أسفل المياه التي تتساقط عليه بجسد متوسط الطول والوزن، رفع ساعديه وصولًا لشعره ووضع عليه صابونة ذات رائحة جيدة، حَك رأسهُ جيدًا بها حتى أنتجت رغاوي وفقاعات تتفجر في ثوانٍ بسيطة، انزلقت منه الصابونة فمال بجذعه بحثًا عنها، فسَقط محدثًا ضَجيجًا، وتفجَرت الدماء من جبينه إثر ارتطامه بمقدمة حوض الاستحمام الذي يَقف فيه، فانهالت طرقات على باب الحمام ومعها صوت امرأة تتحَدث بخوف:

-أستاذ حسن أنت كويس؟ أرجوك رد عليا.

حَرك لسانه بصعوبة قائلًا:

-أنا بخير متقلقيش.

مَد يديه على حوض الاستحمام وقام بصعوبة بالغة والدماء تتساقط

من جبينه وتزدان الأرض بها، ارتدى سرواله الأبيض مداريًا عورته وهو مازال سابحًا في ظلام عينيه التي ولد بها لا تعمل كباقي البشر، تمنى لو كان يرى حيث كانت ستختلف الأمور، فتح الباب ودلف للخارج وحينما رأته حسناء خادمته ذات الأربعين عامًا صرخت بسبب دمائه التي ملأت جسده، وأخرجت هاتفها وطلبت الطبيب الذي يقطن معهم بنفس العقار في الدور الأخير.

*****

كان يَنتظر زوجة أبيه في الشارع أمام مدرسته الإعدادية حتى تأتي ويرحل معها للبيت وهو يتابع أصدقاءه الآخريين بوجوم وهم يذهبون مع أبائهم وأمهاتهم الحقيقيون، لم تغدق عليه هذه المشاهد المختلفة بالمزيد من الحزن تلك المَرة كعادته، لأنه كان يفكر في الكبوة الخطيرة التي حَلت عليه هو وأبيه من الجحيم وجعلته يلعن حياته والقدر الذي وضعه على سطح هذا الكوكب، فالأمر بدأ معه بالشك في سلوك زوجة أبيه وتلا هذا مراقبته لها بشكل دقيق فتيقن فيما بعد أنها تتحدث ليلًا لبعض الدقائق اختلاسًا مع شخص غريب. لا تدور المكالمة بينهما في فلك أحاديث مُحَرمة كالمعتاد، ولكن في فلك آخر غريب لم يستطع الوصول إلى أسرار أسواره العالية التي لم يخطوها قَط لقلة خبرته، لكنه أدرك جيدًا ضرورة أن يُبلغ أبيه ولا يؤخر الأمر أكثر من هذا، خاصة أنه في الفترة الأخيرة بدأ هذا المجهول الذي تحدثه زوجة أبيه بطلب الكثير من الأموال ليسافر خارج البلاد لابد و...انتزعه من تفكيره صوت زوجة أبيه وهي تناديه:

-رامي يلا يا حبيبي أركب.

حدجها بنظرة مليئة بالغضب وهي تَرتدي حجاب أزرق اللون وتضع بعض مساحيق التجميل الخفيفة، وتظهر من نافذة سيارتها التي ابتاعها لها والده منذ شهرين.

في موعد العشاء امتلأت مائدة الطعام التي احتلت منتصف الشقة بالبيض، والجُبن، واللانشون، وزجاجتين من المياه الغازية ذات اللون الأبيض، جلس رامي وزوجة أبيه ووالده (فرادس) الذي أتى متعبًا من عمله، قبّله ثم قَبّل زوجته واحتضنها بقوة لاشتياقه لها، وبدأوا في الأكل، وخلال جلستهم كان رامي يرمقها بنظرات حادة وهي لا تعيره أدنى انتباه وتَهتَم بإطعام والده. بعد انتهائهم من الطعام طلب رامي الجلوس معه لبعض الدقائق وأطلعه على الأحاديث التي سجلها لزوجته، استشاط أبيه غضبًا بعدما انتهت التسجيلات، واتجه ناحية زوجته التي كانت تقبع في غرفتهم تنتظره بفارغ الصبر، وحينما واجهها بحَقيقة تسجيلات رامي أنكرت ومع ضغطته عليها بكت، وحاولت الإذعان له بالكلمات وإثبات أنها ليست سيئة، لكنه لم يعيرها اهتمامًا وفكر مَليًا فماذا يفعل؟

لم يجد سوى حلًا واحدًا، مَد ساعديه نحوها وأنامها على ظهرها فوق السرير، واعتصر عنقها بقوة، تشنجت وصرخت حتى فارقت الحياة بعد مُضي خمسة وأربعين عامًا على سطح هذا الكوكب.

*****

(2)

جلس على مائدة الطعام تستنشق أنفه رائحة السبانخ الشهية المُمتزجة بقطع اللحم البقري الشهي، وكان يطالع هاتفه فقرأ خبر على أحد المواقع عن خلاف نشأ بين عصابتين من أجل شحنة بضاعة خفية لم تكتشف بعد ستأتي من أحد الدول الأجنبية خلال هذه الفترة، وقام رجال الأمن بالقبض على بعض أفراد العصابتين إلا أن هناك خمسة منهم لاذوا بالفرار في فناء مقرهم بالتجمع الخامس، وتكثف الشُرطة الآن جهودها في البحث عنهم. زادت رائحة السبانخ الشهية حوله فكادت، فأغلق هاتفه وهز منكبيه ليساعد أمه في رص الطعام على المائدة، حدثته وهي تضع الأواني:

-جوايا فضول وسؤال من يوم ما خلفتك أنت بتحب السبانخ بالشكل ده ليه؟

-مش عارف، يمكن علشان أنا بحبك وإنتي بتعمليها بأيدك.

أومأت برأسها وتبسمت قائلة:

-طب منا بعملك السمك بأيدي ومش بتحبه.

وضعته بين فكي الأسد فحاول التملص منها وإخفاء إحراجه قائلًا:

-هنقعد نتكلم والأكل يبرد وهخليكي تسخنيه تاني.

تبسما وجلست بجانبه تتأمل ذقنه التي لم تفارقها الحلاقة يومًا، وتمنت لو تراه يرتدي بذلة سوداء وبعنقه ربطة بنفس اللون، وتتعلق بساعده عروسة تختارها من أجله، فيتسنى لها فيما بعد فرصة لمشاهدة أحفادها، فهي لا تملك غيره، هو نجاتها من الوحدة بعد وفاة أبيه منذ اثني عشر عامًا. طالما حدثته بأن يخطب حتى لا يسرقه عمله من أفضل سنين عمره لكنه دومًا يلوذ بالابتسام والسُخرية. قطع تفكيرها صوته قائلاً:

-مالك يا ماما؟

-مافيش يا حبيبي، صحيح قولي أنت هدومك متربه ليه على غير العادة؟

أومأ برأسه متذكرًا الليلة الماضية فرد:

-من سوء الحظ التيار الكهربائي يقطع وأنا بشرح جثة ولوحدي في المشرحة، ومحستش بنفسي إلا وأنا بجري وبقع في الأرض، لحد ما وصلت للشارع زي المجانين، وفضلت مستني بره لحد ما التيار رجع ودخلت كملت، وبعد كده كتبت تقرير الوفاة وسلمته.

سخرت منه قائلة:

-دكتور تشريح وبتخاف؟ مش قادرة أفهمها، بس عامة أنا كنت ناوية أهزقك بصراحة علشان التراب اللي مالي اللبس، لكن قولت في بالي ههزقك دلوقتي ومراتك تيجي تهزقك في بيتكم لما تتجوز، كده هيكون كتير عليك فمضطرة استحملك.

قطب حاجبيه وأردف:

-لا هزقيني دلوقتي وريحي دماغك بلا مراتي بلا مراتك.

ضحكا وحاولت عدم تعكير صفو جلستهما، لكن فؤادها لم يبتسم مع فمها ووجهها.

*****

كان الهواء شديد القوة تذعن له الأجسام الرقيقة والصغيرة فتطاير لفوق وتهبط في أماكن مختلفة بفناء استقبال الرحلات الجوية بمطار القاهرة، تخطت الساعة الحادية عشر ليلًا، وخلا مكان استقبال المسافرين والعائدين إلا من بعض عمال النظافة وقوات تأمين المكان. شق الصمت فجأة صوت المذياع الداخلي وهو يتحدث معلنًا عن وصول طائرة مصرية عائدة من إحدى الدول الأجنبية، وبعد دقائق بسيطة جاءت الطائرة بقوامها العملاق وأنوارها المُتعددة التي تنطفئ وتعمل من تلقاء نفسها، وهبطت تدريجيًا محتكًا بها ضوء القمر الذي ضرب انعكاسه زجاج المطار.

بعد ثباتها على أرض الفناء فُتح بابها ووضع أسفلها سُلم حَديدي وطأته أقدام المسافرين المختلفة، منهم المُتعالي، والبسيط، والهائم، والضائع، والذي يتأمل الفراغ المحيط به، عدا فتاة في أوائل الثلاثين كانت ترتدي سروالًا أسود ومعطفًا من نفس اللون وشعرها كستنائي يتطاير من قوة الهواء فيعمي عينيها الخضراء عن الرؤية، كانت ذات جسد يقترب من النحافة لكنه متناسق، نظراتها ثاقبة تَنُم عن زوجة أسد عنيفة، قوية، عنيدة، لا تخضع لسطوة أحد.أكملت سيرها ودلفت نحو بوابة الخروج من الفناء، ووصلت لمرحلة التَفتيش حيث تلاقتها أعين كثيرة، تمنت لو تأكلها لجمال وجهها. عبرت هذه المرحلة ومضت

بتكبر رافعة رأسها لفوق حتى خرجت من بوابة المطار الرئيسة وهي تجذب حقيبتها الصغيرة خلفها. نظَرت يمينًا ويسارًا فوجدت سيارة فارهة سوداء تنتظرها وبداخلها سائق يرتدي بذلة من نفس لون سيارته، ورأت رجلًا آخرًا ضخم البنيان وطويل القامة تكاد تتفجر العضلات من أسفل بذلته يفتح لها الباب متصنع الابتسامة، فركبت وتحركت وخلفها سيارة أخرى بها العديد من رجال الحراسة الأشداء يشقون هدوء الليل الحالك. ضغطت داخل السيارة على زر بجانبها فانزلق الزجاج عن يسارها، نظرت بوجوم منه إلى الشوارع التي تقطعها السيارة بسرعة. أخرجت سيجارة من حقيبتها الجلدية وأشعلتها بقداحة فضية اللون، نفثت دخانها بين يديها متأمله في ضيق ما خطه الزمان فيها من مظاهر الوصول لمنتصف العمر. اقتربت السيارة ناحية اليمين لكنها توقفت إثر اصطدامها بشجرة عملاقة وضعت من أيادٍ شيطانية على الطريق، قطبت حاجبيها ولأول مرة منذ وصولها يظهر الخوف على وجهها. سمعت أصوات أجزاء أسلحة تسحب للخلف وتعود مدرجة بوابل من الطلقات النارية التي اخترقت السيارة، وأصابتها ثلاث طلقات بجسدها، ففتحت الباب وسقطت منه محاولة الهرب واختبأت أسفل سيارة أخرى مَركونة بالشارع، لكن أحد مطلقي النيران شاهدها فذهب إليها بخفة تَنُم عن قاتل مُحترف، وسحبها من قدمها بقوة فاحتكت بخشونة الأرض صرخت وتأوهت، لكنه لم يُبال حتى انفرد بها في شارع جانبي. نظر لملابسها المُتقطعة التي حوت أسفلها جسدًا أبيض تلونه الدماء التي تتساقط من فخذها ويدها، وحدثها بصوت أجش:

-فين الماس؟

يحبها امتنع عن أكلها ما شاهده غيم على عقله، وأصبح يتلفت حوله كثيرًا بحثًا عن أي حركة غريبة، فضلًا عن قلة نومه أثناء الليل.

شرع في إنهاء تشريح الجثة بعدما التقط الرصاصات من جسدها، أدخل في مثانتها حقنة طويلة وسحب بعضًا من بقايا البول، حللها فلم يجد آثار مكنونة لتعاطي مخدرات، أو سُم، أو عقاقير خطرة، كانت طبيعية. ورغم رائحة الفورمالين الممتزجة برائحة الجثة لم يناولهما أهمية طلبًا في إنهاء تقريره ليقدم للنيابة العامة. رن هاتفه معلنًا عن رسالة اقتحمته، نظر نحوه مُتذكرًا الرسالة الغامضة التي جاءته، فالتقط هاتفه ليطلع عليها لكنه خطر بباله وقوع أحداث غريبة قد تختفي الجثة خلالها ويرى الجسد الأسود مَرة أخرى، فرجع لطاولة التشريح عازمًا الانتهاء من عمله. فتح بيديه القفص الصدري الذي كان قد سبق فصله من المنتصف بآلة حديدة، فلم يعثر بداخله على رصاصات. نزل ناحية الكلِيَة اليمنى وفصلها بالمشرط، وتبين بفحصه عدم وجود أسباب أخرى للوفاة غير الرصاصات. رنا بنظره لأعضائها وهو متقزز وتكاد معدته تَفيض بما فيها، قطب حاجبيه وتعجب من ردة فعله، فرغم مرور سنين عديدة عليه بالتشريح لم يراوده شعور بالتقزز مطلقًا، إلا في حالات بسيطة تعد على الأصابع وبأسباب منطقية لذلك. «ألهذه الفتاة الملعونة سببًا فيما أرى»؟ دار هذا السؤال بخاطره فكون أفكارًا متداخلة كخيط الحرير حينما يترابط ويصعب حله. قرر أن يستمر فأزاح أجهزة الفتاة الداخلية، وأمسك بالأمعاء الغليظة والتقزز يلبد بدنه، فتحها بالمشرط فتفجرت رائحة شنيعة أقحمت عينيه فتراجع للخلف، وعاد بعد ثوانٍ قليلة مستمرًا فيما يفعله، ففتح الأمعاء كلها وصولًا للمُستقيم وفتحة

الشرج، وضع المشرط عليه واقتحمه فاصطدم بشيء زجاجي لم يتبينه راغب بدقة، فمد يده وسحبه، وجده أنبوبة ضئيلة الحجم وطويلة قليلًا بداخلها فصوص صغيرة للغاية لونها أبيض لامع تشبه الماس.

*****

مضى حسن بسماره الداكن وجسده النحيف ونظارته السوداء فوق أنفه في شارع طويل يتحسس بعصاه الأرض أمامه قبل أن يخطو عليها. أشعة الشمس داعبته بخجل مع رياح يناير القوية، تحسس رأسه فلامس جرحه النابع من سقوطه في حوض الاستحمام بالأمس. استنشق الهواء وضغط على هاتفه فتحدث بصوت آلي، وطلب رقم الفتاة التي وعدته بمقابلته فأجابت وحدثها بصوت عزب وفؤاد يتشوق لرؤيتها، وعلم بقربها منه. أغلق متمنيًا قضاء وقت سعيد معها. ورغم عجزه عن الرؤية إلا أن لأمواله الوفيرة التي ورثها عن والدته وقع صدى قوي على أي فتاة ترفض مقابلته بتعالٍ، فكان يقنعهم بأن شمولية الرجل الكاملة ليست موجودة بعالمنا المادي المحسوس، بينما توجد في السماء فقط حينما نبعَث. وبهذه العبارات المخادعة قضى على بكورية فتيات عديدة ولم يفِ بوعوده التي تضطرم وتكثر لهن، بالإضافة لأنه كان يستبيح هذا بحجة أنهم فتيات يبحثن عن المال لا عن جمال الروح. على بعد خطوات منه مرت سيارة حمراء فارهة بسرعة بالغة، محدثة ضجيجًا بعجلاتها التي راحت تضرب الأتربة فيتصاعد الغبار، حتى وقفت أمام حسن فُتحَبابها وجذبه رجل ضخم لداخلها، كمم وجهه واستمرت السيارة بعدها في تكوين الغبار بالشوارع التي تمر فيها.

*****

بعد مدة من الوقت تأكد خلالها غريب من اكتمال متطلباته، اجتمع مع رجاله لأول مرة منذ خروجه من السجن، التفوا حوله مشكلين دائرة واسعة تتكون من اثني عشر شخصًا، وقد صُنعت هذه الدائرة من أخطر مجرمي الساحة الذين ظفرت قلوبهم بالغضب، والضجر، وقوة أبدان وعقول مفعمة بالحيوية والرغبة في أن تكتسي أجسادهم بدماء الآخريين، خُلقوا من جُب الجحيم وإلى جُب الجحيم سيعودون بعد حروبهم الشيطانية بالأرض. تأملهم مخيون بنظرات غائمة لتعبه، وحدثهم وهو يتجرع من زجاجة بيره في يديه:

-كل حاجة بقت جاهزة، غيبت عنكم كتير، بس أعتقد كويس إني أمنتكم وزيادة قبل ما اتسجن.

أومأوا برؤوسهم في صمت، فأردف:

-آن الأوان نبدأ لعبتنا اللي حضرتلها طول فترة سجني، وهنلعبها مع ولاد الأفاعي بوساخة، مافيش رحمة، مهما بلغ صوت صراخهم وعذابهم محدش فيكم يفكر يعطف على حد.

استرق النظر في عيونهم بحركات مباغته فلم ير فيها استكانة، وبرزت من أغلب رؤوسهم علامات وجروح قديمة. تجرع آخر ما تبقى من البيرة وقال بعيونه الخضراء وهو ثمل:

-علشان نرجع لازم نضرب، وضربتنا المرة دي هتسمع، وهتخلي كل أفعى ترجع بيتها تحت الأرض.

التف قليلًا وسألهم:

-جاهزين؟

ضربوا بأقدامهم الأرض فاهتز المكان وتلبد بالحماس والعنف، فتساءل مخيون موجهًا حديثه لتعريفة:

-جهزت خطة السحب؟

-من بدري ومستني أمرك بالتنفيذ.

-حلو أوي.

سار مخيون في المكان المغطى من فوق بسقف صخري ليمنع الأصوات من الانتقال للمناطق المحيطة، ووقف عند طاولة خشبية مرتفعة، وضع عليها ورقة مربعة فيها خطوط ورسومات هندسية، فتبين لمن يحيطون به أنه شكل تخطيطي لمخبئهم، وقال غريب وهو متسع العينين:

في أربعة منكم هيقفوا في الطرقة بتاعت أوضة التعذيب للحراسة، وستة هيقفوا بَره فوق وهيتوزعوا اتنين في كل اتجاه، والاتنين الباقيين تعريفة وإسكندر هيكونوا هنا بيراقبوا الكاميرات علشان أي حركة غريبة.

استمر بتوزيع الأدوار والمهمات حتى شق النهار أديم الليل الطويل، وتغلغلت أشعة الشمس على سطح الكوكب تغذي النباتات، وتدفع الناس نحو أعمالهم دفعًا ثقيلًا مليء بالكسل والقنوط، وهم مكدودين على أمرهم، وكأن الشمس إله العمل.

*****

لاذ راغب بالصمت حينما بدأ في تشريح جثة (قمر) وقد استغل ضوء النهار حيث انتشر في غرفة التشريح مبتعدًا عن غرائب الليل التي تقع بدون منطق، لم يفتح الراديو، ولم يمضغ علكته، حتى السبانخ التي

أنهت قهوتها واستأذنته لاستكمال عملها فأشار لها بالذهاب، وحينما التفت استرق النظر لعجيزتها وهي تتحرك.

*****

(5)

في طابق أسفل الأرض بأحد المناطق الخالية داخل التجمع الخامس، انغمس غريب مخيون وحوله رجاله يجهزون أسحلتهم الجديدة التي جلبها (تعريفة) ذو الأسنان التي ينهشها السوس والوجه النحيف من أحد الدول الأفريقية، وكان مخيون جالسًا على الأرض يضع الرصاصات في سلاحه الآلي القادر على إطلاق ثلاثين طلقة في ثوانٍ قليلة، وعلى وجهه تتباين درجات من الضجر والغضب. انتهى غريب من ملء سلاحه فدلف ناحية باب حديدي أسود بجانبه ودخل لغرفة واسعة مربعة الشكل، العلاقة بين طولها وعرضها طردية متساوية. وبكل حائط توجد فيه سلسلة حديدية بنهايتها دائرة كبيرة من الفولاذ، ويتوسطهم من فوق أقفال كبيرة لأحكام الغلق. رنا بنظره سريعًا على المتطلبات التي يحتاجها ثم اقترب من الباب ووصل لغرفة أخرى، ازدانت أرضها بالعديد من الأحواض البيضاء المليئة بالثعابين، والعناكب السوداء الكبيرة، والفئران ذات الأحجام الجسيمة، والأسماك المتوحشة صاحبة الأسنان الحادة القادرة على التهام فيل في ثوانٍ، تأملهم مخيون مليًا فرأى في عيونهم قنوط شديد، وينتظرون من يطلق سراحهم، أو يجعلهم يعبثون بأجساد تستحق العبث. أكمل فحصه الدقيق برؤيته الفذة لمخزن الأسلحة المجاور لهذه الغرفة، ويتكون من رفوف طويلة ترتكز في كل رف نوعية أسلحة مختلفة كالرشاشات، والقنابل اليدوية، والمسداسات الصغيرة والمتوسطة نهاية بالسيوف والخناجر الحادة، والطلقات النارية.

وحدج قدميه بغضب لأنهما جعلاه حبيسًا لهذا الجسد ولهذا الكرسي، ولهذه المشاعر التي لا تفارقه حينما يحنو لزوجته وأبنائه. «أحقًا سأموت دون رؤية أحفادي على الأقل؟» سؤال يداهم خاطره دومًا، خانته عيناه وأخرجت خزانًا من الدموع التي منعها لفترات طويلة رفع بألم ساعديه ورأسه لفوق وهو ثمل متمنيًا من الله أن يعفو عنه. اقترب الفجر فكانت تستلقي رأسه على بطنه الكبيرة المليئة بالدهون وثدييه اللذان تكورا من كثرة اللحم، استيقظ فجأة حينما سمع صوت سيارة أسفل منزله، ففتح جوهرتاه ومد منكبيه ليرى مصدر الصوت جحظت عيناه حينما وجد غريب مخيون يخرُج من سيارة سوداء وينظر له بتحد، تتبعه الآخر وضربات قلبه تتصارع حتى دخل غريب للمنزل القابع أمامه.

*****

بأحد شركات الدعاية والإعلان الشهيرة في مصر، كانت تتحدث هيام محمد الوكيل مع عميل خليجي ذي بشرة سوداء وعيون صغيرة، محاولة إقناعه بأن تقود شركتها جميع حملات الدعاية الخاصة لشركة البترول التي يمتلكها في بلده، وبعد إنهاء حديثها معه حيث ناولته فيه معلومات وخصائص ومزايا العمل مع شركتها، صمتت وتفكّر الرجل لبُرهة ثم تبسم وهز رأسه بالموافقة؛ حينها طلبت المحامي المسئول عن توقيع العقود، وفي خلال دقيقة كان يقف أمامها أملت عليه بيانات ومعلومات الشركة الخليجية، وتركت عميلها معه لتوقيع العقود البدائية اللازمة لتوثيق هذه البيعة المقدسة التي ستفتح للشركة بابًا وفيرًا من الرزق. سارت هيام سعيدة بشعرها الكستنائي الطويل، وبيدها كوب صغير مليء بالقهوة حتى اقتربت من باب مكتب (أستاذ أمجد) المدير التنفيذي

للشركة، فاستنشقت أنفها رائحة سجائره المخلوطة بنكهة الشيكولاتة وتبسمت في وجهه حينما تلاقت عيونهما ببعضهما، فأدرك ما قامت به مع العميل الخليجي، فحدثها بسعادة:

-متوقع هتقولي إيه، فحابب أهنيكي عليه.

تبسمت وجلست على كرسي المكتب الأيسر، وأردفت:

-كان خايف في الأول علشان ارتفاع تكاليف الشحن والتوزيع والدعايا بأنواعها، بس لما....

أكمل كلامها:

-لما شاف إن سعرنا أقل من الشركات التانية وافق، والفضل يرجعلك لأنك صاحبة الفكرة دي. قُريب جدًا في حركة الترقيات هتكوني المساعدة الأساسية معايا.

تهللت أساريرها، وخفق قلبها، وردت:

-شرف كبير ليا ياأستاذ أمجد

-إنتي مجتهدة وتستحقي كل خير.

ألقى بسيجارته في سلة القمامة ذات اللون الأخضر وأردف وهو متجهم الوجه: يكفي إنك كشفتي فساد الموظفة اللي اسمها (قمر) قبل ما كانت هتوقعلنا كل حاجة.

وجم وجهها وقالت:

-الحمدلله ربنا ستر.

- كده ناقص نجيب ولاد الأفاعي ونحطهم في ترس اللعبة.

برزت عيونه بفرح وأردف وهو يتأمل جسد مخيون الذي فارقته العضلات لتقاعده بالسجن منذ سنوات عديدة:

-اركب يا كبير.

*****

تلاقت نفسه بالوحدة بين جدران منزله الواسع سيان كوكب انطرح من مجموعته الشمسية، وطرق العديد من المجرات والمجموعات الأخرى لكنهم جميعًا أجمعوا على ألا يقبلوه عضوًا عاملًا معهم. منذ مقتل زوجة أبيه على يد والده عاش (رامي فرادس) بمفرده، يزوره أقاربه من وقت لآخر، يضعون على وجوههم ابتسامات سخيفة خلف مساحيق التجميل، ويشعرونه بمحبتهم زهيدة الثمن. خسر أكثر من نصف وزنه، وقُتلت شَهيته الكبيرة ناحية الطعام والمياه الغازية، فأصبح يكتفي بوجبة واحدة في اليوم يطلبها من أي مطعم. ولولا مال والده الذي أصبح عمه واصيًا عليه حتى ينضج رامي ويصل للسن القانوني لكان تسول بالطرقات والأزقة القذرة باستكانة وذل، متسكعًا مع الكلاب والقطط فينام نومتهم، ويأكل أكلهم ويفصل بينهم في النزاعات والخلافات حتى لا يقتلون بعض. ولحسن حظ رامي أن عمه رغم برودة قلبه وإهماله لابن أخيه لكنه لم يطمع يومًا في ماله، ولم يبخل عليه بطلب أو رجاء، وكل شهر يزوره ويناوله مال وفير يكفيه لعدة أشهر، غير مبالٍ بخطورة هذا على حياة الصبي، الذي لم يَبلغ ربيعه الخامس عشر بعد. ومع مرور الأيام أصبحت هوايته الوحيدة ركوب دراجته النارية الصغيرة،

مارقًا عبرها لحدود من المتعة والإثارة والتشويق إلى ما لا نهاية، في بادئ الأمر لم يكن يجول بخاطره حتى أن يركبها لخوف والده، وللسبب الأكبر وهو حادثته الأخيرة منذ فترة طويلة حينما اصطدم بقدم فتاة فكسرها واحتاجت لتركيب شرائح ومسامير والعديد من العمليات التي تكفل بمصاريفها والده، ورغم هذه العمليات لم تعد الفتاة تسير كما كانت، وتظهر أثناء حركتها عرجًا خفيفًا بقدمها، وصمتت الفتاة عن حقها خوفًا من سطوة والده، الذي كان يعطيها بعض الأموال القليلة كل شهر كتعويض لكنه انقطع عن ذلك، ولم تجرؤ على محادثته. وضع (فرادس) قطعتين من البيتزا أمامه على مائدة الطعام، وأكلهما وهو مفتوح العينين بسبب شريط ذكرياته المصنوع بلقطات احترافية لوالده وهو يحتضنه ويرعاه ويذهب به للطبيب حينما يمرض، وزوجة أبيه وهي تعطيه بعضًا من وقتها واهتمامها، ووالدته التي تركته منذ زمن والفتاة التي سبب لها عاهة مستديمة.

*****

أمسك بزجاجة بيرة وسار بكرسيه المتحرك في شرفته. تأمل الظلام وهو يزداد كلما اقترب الوقت من منتصف الليل. نظر بهاتفه يتمنى أن يتذكره أحد أبنائه، لكنهم لم يفعلوا لمشاعرهم المتبلدة بالقسوة التي زرعت فيهم منذ زمن. فؤاده يحترق شوقًا على زوجته، وكلما يغمض عينيه بهذه الليلة تستعيد أنفه رائحة عطرها الذي كانت تجلبه خصيصًا من فرنسا. تمنى لو يستطيع أن يمرق بعيدًا عن هذا الكرسي الذي يلتصق به ولا يفارقه إلا عند النوم، أو حينما تأخذه الخادمة للحمام. أفرغ الزجاجة في جوفه مرة واحدة، ونظر لمساند الكرسي رفع ساعديه

سرواله وأخرج هاتفه وضغط على زر الكشاف الذي انطلق نوره واصطدم بجسد الفتاة، شاهد ما لم تره جوهرتاه من قبل، دبت الحياة من جديد في الجثة التي كان يشرحها وخرجت من ثلاجة الموتى سريعًا فوقفت أمامه، تأمل أعضائها الداخلية وهي تتساقط بالأرض محدثة صوت اصطدام مقزز، لم يتمالك أعصابه من هول المنظر ففقد وعيه. أفاق بعد ساعتين كان نائمًا على ظهره في أرضية المشرحة، تسند بجذعه وقام فحص طاولة التشريح والغرفة كلها فلم يجد الفتاة ولا أعضائها التي تساقطت منها، حتى ثلاجة الموتى كان بابها محكم الإغلاق. ذهب لحمام غرفة التشريح وغسل يديه ثم وجهه وبدنه، وهندم محتويات الغرفة، ودلف لمكتبه فبدل ملابسه وهو واجم وغاضب مما وقع له بدون تفسير. خرج من بوابة المشرحة الرئيسة فلفحه الهواء البارد وملأ أنفه، ابتاع من كشك صغير بجانبه علكة فراولة وزجاجة مياه، ودس بفمه العلكة ثم رشف القليل من المياه وركب سيارته بالجراج ومضى. وصل أسفل منزله جاحظ العينين غير مقتنع بما حدث، محاولًا بسط سيطرته على مخاوفه وإقناعها بأنه كان يحلم، رن هاتفه لثوانٍ بسيطة واهتز بجيبه، أخرجه ونظر فيه ووجد رسالة من رقم مجهول فتح الرسالة وتفحص محتواها فكان غريب لا معنى له، وقطب حاجباه وهو يقرأ:

«««هنتواصل كتير، خلي تليفونك معاك»»».

بصق علكته فالتصقت بالأرض ودقات قلبه تتصارع من وقع هذه الرسالة الغريبة عليه.

(4)

أمام الأسوار العالية المُمتلئة بالأسلاك الشائكة والحراسة الكثيفة ذات الأسلحة الثقيلة التي وقفت لحماية السجن من الداخل والخارج، دلف غريب مخيون من بوابة السجن الحديدية التي ازدانت بالصدأ من كل ناحية، وأغلق خلفه الباب بمجرد خروجه للشارع. كان يمتلك بدنًا ضخم الحجم ورأسًا حليقة الشعر كتربة زراعية تخلو من النبات، وبجبينه علامة نصف دائرية تحكي تاريخ طويل من الخلافات التي تتقطع فيها الأجساد، وتطاير خلالها الأطراف البشرية للسماء، ولا تنتهي فيها الأرض من فوارغ الرصاص، حيث لا مكان للخوف بقلب أحد، ولا تَندرج الرحمة من أحد. ذهب لشارعٍ ثانٍ ونظر بعيونه الخضراء الواسعة ذات القوة الجامحة للسماء متأملًا شفق الغروب، وهروب الشمس من طغيانه وشره نحو اللانهاية. مضى منتهيًا من طريقه ووصل لسيارة سوداء براقة كانت تنتظره، وبمجرد اقترابه منها حياه سائقها بقلب شاغر من المحبة، وتبسم لغريب بوجه نحيل، فظهرت أسنانه الصفراء التي تستنجد بمن يرحمها من نهش السوس فيها. حدثه غريب مخيون بعيون ثابتة قائلًا:

-كل اللي طلبته اتنفذ؟

حرك ساعديه بعلامة التمام ورد:

-اللعبة جاهزة ومستنينك تدورها.

ثلاجة الموتى وارتدى قفازيه وكمامته، فتحها وأخرج جثة الفتاة التي حدثه عنها كمال، وضعها على طاولة التشريح وأتى بمعداته، وفتح الراديو من خلال السماعات على محطته المفضلة حيث كانت تتغنى بأحد روائع أم كلثوم «أنت عُمري». بحث راغب عن علكة بحقيبته فلم يجد، غضب قليلًا ومضى ناحية الجثة النائمة على الطاولة، نظر مليًا للطلقات التي ازدانـت ببدنها وتفرقت بين الفخذين واليدين والصدر، دس المشرط وحفر في الجسد حرف T، وأمسك الأداة الشبيهة بالملقاط وجذب جلد الجثة للخلف وفصله عنها من خلال المشرط الحاد، فظهرت الطبقة البرتقالية المليئة بالدهون. تناغم مع موسيقى أم كلثوم السحرية مهتزًا بجسده في حركات بسيطة، نبت قفصها الصدري الكائن منذُ خلقها، فأتى راغب بأداة شبيهة بالكماشة وشرع في تقطيع القفص الصدري،حيث صدرت منه أصوات ساورت بدن راغب بالاشمئزاز، واخترقت رائحة كريهة أنفه فتراجع للخلف قليلًا مقطبًا حاجبيه من قوتها. ثمل الراديو ولم يعمل بكفاءة وتغير صوت أم كلثوم بصوت آخر متهدج وعنيف ينُم عن صدوره من الجحيم، تسمر راغب بالأرض ووضع أدواته بجانبه، وحينما صمت الراديو لم يقدر على الالتفات للخلف، فباغته صوت سقوط أدوات تشريح خلفه، وقف حائرًا مشوشًا أينظُر وراءه أم يظل واقفًا في مكانه؟ أيهاجم لمعرفة ماذا يحدث؟ أم يظل غير مُتفانٍ في الشجاعة؟

فخطر بباله أن يرمي ببصره على المرآة المعلقة أمامه، فرأى كيانًا أسود اللون يتخلل ركن الغرفة الأيسر ارتعش وكاد يفقد الوعي، التف ليتأكد مما شاهده فلم يجد شيئًا، لكنه حينما عاد برأسه لم تكن الجثة موجودة على طاولة التشريح، جحظت عيناه وبرزت للخارج وكادت أن تفارقه وتهشم

نظارته الطبية، ماذا يحدث؟ أفُتحت الأرض وابتلعت الفتاة؟!! لم يجد إجابة وتملكه اليأس الممزوج بالخوف، أغمض جوهرتيه لثوانٍ وفتحهما فوجد الجثة على الطاولة، ومع عودتها تغنى الراديو لعبد الحليم. هدأ من روعه وهرب بتفكيره لطريق التخيلات والكوابيس، ثم مضى ليكمل عمله في تَرقب وحذر. أخرج بعض الرصاصات من جسد الفتاة، لكن داهمته كارثة جديدة حيث فتحت الجثة عينيها وثنت ساعدها الأيمن بمرونة، بحركة لا إرادية وضع راغب يديه فوق عينيها وأغلقهما وهو لا يعلم كيف اكتسب هذه الشجاعة. مد يديه وحاول تثبيت يدها اليمنى على الطاولة فشعر بكهرباء تغزو بدنه وتسير بقوة داخل أوصاله، صرخ من الألم وسقط على كرسي خشبي كان وراءه فتهشم. نظر راغب بضجر حوله وهو في حالة تقترب من الإعياء كأسير حرب فقد كل شيء أسرته، كرامته، وأفعاله الشاغرة من الشجاعة. تحرك محاولًا القيام وتسند على الطاولة، فقام مقررًا بداخله إعادة الجثة للثلاجة وتأجيل التشريح للغد، فدفع الطاولة وتحركت على عجلاتها مصدرة صوت عالٍ حتى وصلت للثلاجة. وضع الجثة بداخلها وحينما حاول إغلاق بابها وجد يدًا ثقيلة وباردة تجذبه للداخل، حتى كادت يده تنفصل عنه من عنف الجذب، صرخوهز صوته أركان الغرفة كلها، وقال بغضب شديد:

-إيه الجنان اللي بيحصل ده؟

سمع صوت يحوم في أذنه لم يتبين معاني كلماته، وللمرة الثانية يباغته التيار الكهربائي وينقطع، فيجعله كخروف ترك قطيعه بمفرده ليلًا خارج أسوار المزرعة وتنتظره مجموعة من الذئاب ذات أسنان حادة، حيث لا توجد فرصة وحيدة للنجاة. خلع القفازين وألقاهما بعيدًا، تحسس

عليه متلبسًا، فلعن الزواج بباله ومن يخطوه هذه العتبة.

*****

رن هاتفه برقم يجهله فأجاب واستمع بحنق إلى صوت أنثوي يعرفه جيدًا:

-راغب هتفضل بعيد كده؟

ضرب سطح مكتبه وبصق علكته في الأرض ورد:

-ممكن منتكلمش الفترة دي، محتاج أفصل.

-بس اللي جوايا هيظهر الأيام الجاية ومش هقدر أداريه.

أسود وجهه، وتلبدت أحاسيسه بظلام داكن، وقال بنفاد صبر:

-أرجوكي سيبيني لوحدي دلوقتي.

قالت وهي تبكي وتخرج كلماتها متهدجة بضيق:

-حاضر بس لازم تعرف إن الأيام الجاية مش هتعدي عل....

أغلق هاتفه حتى أظلم، وبسط ساعديه أمامه ووضع رأسه عليهما محاولًا تهدئة وجدانه.

*****

استيقظ على صوت طرقات تتلامس بخفة مع الباب، رفع منكبيه لفوق وبرز جبينه أحمر رمق الباب وعادت الطرقات فأمر صاحبها بالدخول، لكن أحدًا لم يستجب، فتح الباب بيد مرتعشة ولاح في هذه اللحظة

أمام عينيه جسد أسود اللون جسيم الحجم اتجه ناحية الحمام، سار راغب خلفه متطلعًا للبحث عن هذا المجهول الذي طرق بابه مرتين ثم مرق هاربًا. وصل للحمام فكانت الإضاءة غير موجودة بالخدمة، وأمام عينيه تحركت ظلال عديدة بالداخل، توقف عقله عن التفكير، أيُجازف ويدخل أم يظل ثابتًا بلا فائدة؟ لكن القدر حسم الإجابة، فوجد راغب جسد أسود يصطدم بوجهه! !سقط ودقات قلبه تكاد تنخلع من قفصه الصَدري، نظر مليًا بجوهرتيه مفكرًا ماذا حدث؟ فباغته البدن الأسود وتجلى أمامه بعيون بيضاء غاضبة، وأخرج من فمه زئيرًا قويًا، رجع على إثره راغب للخلف كالملدوغ وتشنجت يداه، حاول فحص ماهية ما يقف أمامه لكنه عجز عن ذلك، وخلال ثوانٍ اختفى هذا الكيان، لكن عين راغب لم تَترك الحمام الذي راحت تدب فيه أصوات وحركات شيطانية في جنح الظلام الكائن بالداخل، استند بجذعه وقام، سعل بقوة وكاد يسقط فصرخ بصوت مبحوح:

-إيه اللي بيحصل؟

لاذ بالصمت حينما لمح بطرف عينيه أقدام سوداء تنهشها الديدان تقف بالخلف منه، وحينما التفت لم يجد شيئًا. أفاق من نومه فوجد نفسه مازال بمكتبه باسطًا ساعديه، وأدرك إنه كان يشاهد كابوسًا سخيفًا، رنا بنظره من نافذة المكان وتأمل ساحة فناء المشرحة والليل الذي خيم سريعًا بواسطة التوقيت الشتوي. قام من جلسته وخرج متجهًا ناحية غرفة المشرحة ليقوم بعمله. كان الطبيب الوحيد الموجود في هذا الوقت، ويحميانه بالخارج رجلان أمن يحتاجان لرجل ثالث لحراستهما حتى لا تبتلعهم الكلاب الضالة. فتح باب غرفة المشرحة ودلف ناحية

-بطنك كبرت، قولتلك بلاش تتجوز.

ضحك بسخرية ورد:

-بكره بطنك تكبر عادي من غير جواز، بطل الخَيْلة الكدابة دي بقى.

-المُهم إيه أخبار الجثث؟

قام من جلسته ورمى سيجارته في سلة قمامة صغيرة ورد:

-بيزيدوا يوم عن التاني، إمبارح جالنا 6 جثث في حادثة تبادل إطلاق نار وقعت جنب مطار القاهرة، ومنهم جثة بنت في أوائل التلاتينات اسمها قمر، اتعرفنا عليها من جواز سفرها وبطاقتها الشخصية، والحرس اللي كانوا معاها مقدرناش نوصل لبيانات عنهم وبطايقهم مكانتش معاهم.

أشار له بأن يكمل وهو يمضغ علكته ويغير ملابسه، فأردف كمال:

-جثة البنت هتشرحها أنت، والخمسة التانين مسئوليتي أنا ودكتور هشام.

-فل، ومش هقولهالك تاني يا صديقي مدخنش في الأوضة بتاعتنا، أنت عارف مبقدرش استحمل الدخان.

-منا بستحمل ريحة السبانخ اللي بتجيبها معاك، وصوتك وأنت بتاكل لبان الفراولة بتاعك.

أنهى راغب تبديل ملابسه، وضرب كمال بخفة على جذعه قائلًا:

-متنساش تيجي يوم الخميس علشان أمي مُصصمة تعزمك أنت والعروسة الجديدة، ويكون في علمك هنعملكم سبانخ ولحمة.

ضحك كمال بشدة وقال:

-أمري لله والله لولا والدتك ما كنت روحت وإحنا بنكره السبانخ أصلًا، يلا أنا همشي سلام.

تركه ومرق من الباب، تبسم راشد لحبه وسخريته الدائمة من كمال منذ أن عرفه وقت دراستهم بالجامعة، وهو لم يتغير مازال يعشق التدخين ووزنه يزداد يومًا بعد يوم، ويحب عمله مما يسبب له قلة راحة ، مقتديًا بأبيه الراحل في حبه لما يفعله. وحينما أراد كمال أن يتزوج لم يخرج عن مجاله فالتصق بطبيبة بيطرية تَقترب منه في السن والشكل، وتحظى بنفس الشغف نحو الطب وما تمارسه على الحيوانات التي تقع تحت يدها أثناء الكشف بعيادتها. ورغم هذه الحياة المليئة بالشغف بالنسبة لكمال فيراها راغب أطوار حياتيه روتينية أكثر من معيشته التي لولا وجود والدته فيها لكان قضى على نفسه منذ زمن، حيث تدفعه أمه دومًا للاستمرار نحو التطلع والصمود والنجاح الوقتي الزائل. بالنهاية هو يحب كمال ويحترم زوجته لكنه يرفض فكرة الزواج، متطلعًا للحياة الرغيدة الحرة، مبتعدًا عن فكرة الإرادة المسلوبة والمسئولية التي تتعلق بها أرواح أخرى تفتح أفواهها وتطلب حمايته.

وقد أيقن داخله أن كمال سُلبت حريته بعد عقد قرانه حيث اندفعت وقتها الزغاريد حوله، وكان يقف هو في وجوم ينظر لصديق عمره وهو يرتدي بذلته السوداء وبجانبه عروسته بفستانها الأبيض. حاول وقتها راغب إخفاء حزنه متخيلًا نفسه يقف في يوم بديل لكمال، وتلتف حوله الزغاريد من أفواه النساء، والضجر والحزن يخنقاه كسارق ليلي قُبض

قالت بصوت مبحوح:

-معرفش

-مش هكرر كلامي تاني.

سحب أجزاء بندقيته التي كان ممسكًا بها، ووجهها ناحية رأسها مُحذرًا:

-الماس فين؟

حاولت التملص بعينيها الخضراء الهادئة وأخرجت مسدسًا صغيرًا أخذته من السيارة قبل نزولها، وضربته بطلقة لم تصبه لأنه تفاداها بحركة سَريعة، وصرخت فيه قائلة:

-الماس جوايا خده لو قدرت.

أثارته فأطلق عليها بعض من الرصاصات، اهتز جسدها بشدة، حتى سكن في سُبات طويل، تركها وجرى ناحية رجاله وسألهم بضيق:

-لاقيتوا الماس؟

أومأ كبيرهم بالسلب معربًا عن أسفه، فأشار لهُم بركوب سياراتهم وهو يلعن هذا اليوم الذي ذهب سدى لمكان بعيد ذو أسرار مضمرة.

*****

(3)

أشرقت شمس صباح اليوم التالي، وبعد سويعات احتك نور الظهر بِسحب السماء التي من يراها يعتقد أنها صامدة منذ الليلة الماضية، تأبى وترفض الترحال من سماء لأخرى. بأحد الشوارع القريبة من محيط المشرحة اقترب راغب بسيارته البسيطة ناحية اليمين ثم اليسار وهو يلعن زحام الطريق حوله، ويخفق قلبه من وقت لآخر بسبب الأصوات العالية محاولًا إخفاء مخاوفه مِنها. ورغم رياح يناير الكائنة حوله نبتت فوق جبينه حبات صغيرة من العرق، فمسحها بمنديل ورقي صغير وألقاه من النافذة. تهلل وجهه حينما رأى جراج المشرحة يقترب من بعيد فأسرع قليلًا واقترب من بوابته مرتاح البال.

نزل من سيارته ودلف للمشرحة والوقت يقترب من الرابعة ظهرًا، خلع معطفه بني اللون وألقاه على منكبه، وأخرج علكة الفراولة ومضغها سريعًا وهو يوقع اسمه فِي دفتر الحضور اليومي، وكانت مسئولة الدفتر جالسة أمامه لا تعطيه بالًا وتتحدث في الهاتف متعاركة مع زوجها بألفاظ بذيئة تخرجها بصوت هادئ، وتضحك من فترة للأخرى بخلاعة كأنها فتاة ليل. تأمل لون وجهها الباهت وأشار لها بسخرية فلم تجبه، تركها ودلف لمكتبه ليبدل ملابسه فوجد كمال صديقه ، رماه ساخرًا:

-كمال بيه الأنتيخ.

نظر له الآخر وهو يدخن سيجارة بعيون يعايرها الصمود، فأكمل:

تفحص راغب هذه الأنبوبة ولم يدرك ما جدوى وجودها في مستقيم الجثة واتجه ناحية حمام الغرفة وغسل الأنبوبة بالمياه، رفعها لفوق باتجاه الضوء فلمع ما بها كالماس في عيونه، رن هاتفه بالرقم المجهول الذي راسله، وضع الأنبوبة على الطاولة وأمسك هاتفه متردد ويداه ترتعش، وتساوره أحاسيس بالقلق من الجثة، ضغط على النقشة الخضراء في هاتفه ووضعه على أذنه وفر بالصمت فاستمع إلى صوت مهندم يقول:

-دكتور راغب العزيز، متقلقش إني بكلمك من «private number»، بس محتاجك تعرف إن الموضوع أكبر مما تتخيل.

حدثه بنبرة هادئة:

-حضرتك مين؟

-قولتلك الموضوع أكبر مما تتخيل فبلاش تتعامل بقلة ذكاء، ومتسألش يا دكتور، لأني أنا اللي هسأل بس طول فترة كلامنا.

جلس راغب على كرسي بجانبه وهو مستكين وقدماه عاجزة عن حمله، فأردف صاحب الصوت المهندم:

-في حاجة هتلاقيها بداخل جثة (قمر) أعتقد إنك وصلتلها، بس هديك شوية وقت وأكلمك بعده، علشان تكون أخدت فرصتك وكتبت تقرير الوفاة بأيدك الجميلة.

-أنا مش فاهم حاجة

خرجت كلماته متهدجة، فقطب الآخر:

-سلام يا صديقي العزيز.

وضع راغب يديه على خده وعيناه جاحظة غير مبالٍ بالجثة ولا بشيء آخر إلا ما دار في المكالمة.

*****

ليلًا في منزل راغب كانت والدته تقوم بتنظيم المكان وتهيئته لاستقبال كمال وزوجته غدًا، وكعادتها قبل الشروع في التنظيف تقوم بفتح التلفاز ليلهيها عن شعورها بالوحدة فمنذ وفاة زوجها وهي تخشاها. سارت بجسدها البدين الذي خطه الزمان بعلامات كبر السن ناحية الحمام، ومدت ساعدها في الظلام لتلتقط دلوًا من المياه المختلطة بأنواع مختلفة من الصابون، لكنها شعرت بمن يمسكها داخل الحمام فصرخت وتراجعت للخلف، وتفحصت فلم ينبس الظلام بحرف يدل على تواجد إنسان غيرها في المنزل. حاولت إكمال عملها بعد وجوم طويل فدلفت للصالة بالدلو، داهمها صوت ارتطام باب الحمام انفطر قلبها والتفتت بجذعها للخلف فباغتتها قدم سوداء تدخل للحمام، تشنج جسدها كأن اللحم اشتبك مع العظام في معركة دامية يفصل بينهما العمود الفقري بضعف وتهتك. استرقت النظر مرات متتالية للحمام فلم تتبين شيئًا، اقتربت منه بخطوات وئيدة تفحصت بعينيها الظلام راجية ربها بأن ما تراه غير واقعي، لكن للقدر رأيًا آخر فوجدت رأسًا غزيرة الشعر فوق جسد عارٍ أبيض اللون يقترب من النحافة، وضعت يدها على فمها ودخلت في حلقة طويلة من الصراخ، فداهمها ما رأته بالحمام وضربها بعنف في صدرها، اهتزت وسقطت في الأرض تأثرت رؤيتها بلون أبيض

فصلها عن الواقع ففقدت وعيها.

*****

مضى (رامي فرادس) في رحلة إلى غياهب النوم مصحوبًا بوابل من الأحزان المحملة بالفقد والندم، متجهًا نحو عالم يرتاح فيه الجسد عدا القلب وعجلة الذكريات اللذيْن يختلطان بالأشواق الذليلة، فيخلقان أحلامًا سوداء داكنة تنعش قتل النفس، وتنعش الزهد في الحياة الطاغية ذات الألوان الباهتة بعيون من تدهسه. فُتح باب المنزل بمهارة دون ضجيج، ودلفت منه ثمانية أقدام، وفوق هذه الأقدام تثبتت أربعة رؤوس بها عيون تبحث عن غايتها، اقترب اثنان ناحية الصالة، واثنان باتجاه غرفة نوم (فـرادس)، أخرج واحد منهم منديلًا ورقيًا به مادة مخدرة، وحينما وجد رامي نائمًا سار نحوه ووضع المنديل على أنفه، استيقظ جاحظ العينين وتصارعت ضربات قلبه مما يرى لكن سرعان ما فقد وعيه، ورفعَ شيطان منهم رامي على منكبه وكمن مع الآخريين في الشارع، ثم ركبوا سيارتهم وتحركوا يضربون هدوء الليل.

*****

المقر الخفي للمُنظمة، الثانية ظهراً، في منطقة معزولة عن السُكان بأحد الدول الأوروبية.

-الوقت يداهمنا، تبقى أقل من عام على زمن فتح البوابة، لابد من إنشاء تجربة ناجحة كالتي قمنا بعملها منذ زمن طويل، لذا نحن نعمل بكامل طاقتنا حتى لا نقع في كبوة عظيمة.

قالها ذلك الشخص بلغة خاصة لا يفهمها سوى أفراد منظمته وهو مرتدي

بذلة سوداء ويضع في ساعده الأيمن من فوق شارة حمراء. فداهمه سريعًا بالكلام من يجلس أمامه بصوت هادئ:

-نعيش في ورع وطهارة من مئات القرون، لابد أن ننجح لكن هناك بعض الخطورة التي تحتاج لمجازفة جسيمة.

تجرع صاحب الشارة الحمراء القليل من مشروب داكن اللون، ونظر لمن أمامه مليًا بخشوع يتأمل رأسه حليقة الشعر، وجسده البدين المغطى بلباس فضفاض من الحرير وفوقه رداء أحمر كالملوك ورد بمهابة:

-لا تقلق يا سيد الأكوان، فتجربة البوابة نالت جزء ليس قليل من النجاح في المرة الأخيرة بعالم خالٍ من التطور والتكنولوجيا، ومليئ بالأخطاء، أما الآن...

قطع كلماته بهدوء:

-لا تدخل بقلبك الغرور فتصيبك لعنة هيرودس الملك وغيره وتكون طعامًا للديدان الشرسة، ولا تنسى أن أجدادنا قاموا بهذه التجربة الناجحة فلا تلومهم.

تجهم وجه ذو الشارة الحمراء ونظر للأرض في قنوط، فأكمل الآخر:

-لا تحزن، فبشائر الخير تنتظرنا ولا تنسى أبدًا هدفنا تغيير العالم من السيطرة الحانقة.

استرق بعض النظرات لصاحب الشارة ذي الوجه النحيف، والجسد القصير الذي تزينه من فوق رأس كبيرة بها شعر أصفر ناعم ومرجل، ثم داعب سيد الأكوان ذقنه الكثيفة بيضاء اللون وهو مبتسم، وأردف:

- لقد انتهت جلستنا، فلتذهب واعلم إن أردت السلام والنجاح فعليك بري بذور التواضع داخلك يا شارون، والأمر قد بات في أيدينا داخل أرض مصر الطاهرة الآن، لتكن حذر ولكن بحدود فلا تفقد عقلك من كثرة التفكير وتقع في مشاكل جمة.

تهللت أساريره ودبت فيه الحماسة من جديد، فقام واتجه ناحية سيد الأكوان وقبّل يديه ومضى وهو يضع في عقله خطط قادرة على حرق الكوكب.

*****

داخل أحد العقارات التي تقطن فيها هيام تلبد الهواء ببعض الدفء الذي تفتقده الشوارع كل عام في هذا الوقت، مضت هيام في شارعها وركنت سيارتها ثم دلفت صاعدة على الدرج وهي تنظر لشاشة هاتفها، وترتدي معطفًا طويلًا يغطي جسدها حتى ركبتيها، وصلت للمصعد الكهربائي ودخلته وضغطت على زر الطابق الذي تسكنه. توقف المصعد بالطابق الثاني ودلف إليه شخص ذو بدن كبير الحجم لم تعره اهتمامًا، وانشغلت بهاتفها تقوم بتدوين أرباحها هذا الشهر من الصفقات التي أتمتها بنجاح. التف ذو البدن الضخم لها ووضع على أنفها منديلًا به مادة مخدرة، حاولت التملص منه والاستنجاد بجيرانها لكنه أمسكها بقوة، ثوانٍ وفقدت وعيها فضغط الشيطان زر الطابق الأرضي وبداخله نشوة نشأت واضطرمت لتلامس يده اليمنى بجسدها.

*****

طار الهواء البارد بين أعمدة الشرفة وأضمر نفسه بين رواق البيت

وأساسه بحثًا عن صديقه الحنون حسين المحمدي الذي دأب على التودد له. وانفجع الهواء من هذا المشهد الصادم حينما لفح مقعد (المحمدي) ووجدهم قلوبًا على الأرض وفوقه بعض الدماء، فتساءل بداخله أيتركه صديقه بعدما عاناه من فرقة أبنائه الثلاثة وزوجته؟ خرج الهواء حزينًا من الشرفة يحمل معه بعض الدفء الموجود بغرف البيت، وطار مبتعدًا نحو السماء يتأمل كرسي حسين المحمدي الملتف بغموض غريب.

*****

كانت الأواني بالمطبخ تتخبط مصدرة صوتًا خفيضًا وتأبى السكون، أفاقت نفيسة والدة راغب من غيبوبتها على هذا الصوت، ونظرت مليًا بوجه متجهم ناحية الحمام لبرهة من الوقت، وحينما خلا بدنها من الخوف قامت بصعوبة بسبب قسماتها المليئة بالدهون، ومضت وهي ترتجف مما رأته، حتى جلست على أحد كراسي مائدة الطعام وسندت جبينها فوق يدها. سرحت بخيالها بعيدًا وامتطت سفن الخوف سائرة نحو شواطئ القلق مبتعدة عن الراحة، أذعنت بعقلها نحو قصص الجن والأشباح محاولة الوصول لتفسير ما رأت، طمأنت روحها بعد ساعتين من التفكير في الغيبيات حينما لم تصل لشيء وقد عادت سفنها لشاطئ الراحة. مضت للمطبخ وفتحت ثلاجته التقطت زجاجة عصير مانجو صغيرة، وتجرعتها بِبطء وهي تتنفس بصعوبة، فُتح باب المنزل فخرجت مسرعة لتجد راغب ممتقع الوجه، ويمسك بنظارته الطبية في يده ماضيًا للداخل في وجوم شديد، أمسكت بيده ودخلا إلى الشرفة وجلسا على مقعدين وقالت بخوف:

-وشك باهت أوي.

-أنا واقع في مصيبتين، الدنيا ضاقت عليا أوي.

تحسست جبينه وجدته ساخنًا، فجلبت قدحًا به ماء ووضعت القليل على رأسه وهي تقول:

-احكيلي وهدي نفسك.

نفث بعض الهواء من جهازه التنفسي وقال:

-المصيبة الأولى في جثة بشرحها لبنت جت فيحادثة قتل، من وقت ما الجثة اتحطت في المشرحة وفي حاجة مش منطقية بتحصل، وشوفت حاجات تشيب مش عايز أحكيلك علشان متخافيش.

كظم دموعه وهو يمسح أنفه الحادة بمنديل واسترسل:

-بخلاف اللي بيحصل ده، فالكارثة كانت إني لقيت جوه الجثة أنبوبة طويلة ورفيعة وجواها قطع صغيرة جدًا شبه الماس.

-أنا عارفة إن ده مش طبيعي، بس هل دي المصيبة؟

-المصيبة يا أمي إن في حد كلمني وطلب أسلمه الأنبوبة دي، ومن لهجته وطريقة كلامه أدركت بخطورة الموقف، ودماغي وقفت مش قادر أفكر.

قالها بعصبية.

وضعت نفيسة قدح الماء بعيدًا، وجففت جبينه وهي تسأله بصوت متهدج وخائف:

-والمصيبة التانية؟

-مش هقدر أقولك عليها، هتعرفيها في وقتها.

- هدي نفسك، وأكيد في حل نقدر نعالج بيه الأزمة دي.

-مستحيل أسلم اللي بيكلموني الأنبوبة، دي أمانة عليا لازم تتسلم للنيابة العامة، أنا قولت قسم يوم تخرجي قدام ربنا مقدرش أخلفه، بس في نفس الوقت لو مسلمتهمش الحاجة أكيد مش هيحصلي خير، ودليل معرفتهم الواصلة في كل حتة إنهم جابوا رقم تليفوني بسهولة، يعني حتى لو حاولت أبلغ ممكن يؤذوكي يا أمي.

رفعت رأسها لفوق ورأت الظلام الذي خيم حيث بدأت الشمس في إرسال خيوط نورها، ضاعت كلماتها وطمأنتها الدائمة لراغب وكل سبل البر القادرة على تهدئته، وانخرطت نفيسة تَربط خيوط ما وقع لها اليوم بخيوط الجثة الغامضة التي غزت عمل ابنها، فأدركت أن هنالك أمرًا بالغ الخطورة لا يتعلق فقط بعصابة أو ما شابه، بل بأسرار قد لا تنتهي أبدًا. وضع راغب يديه على وجهه، فضمته والدته نحو صدرها، وراحت تمرر راحة يدها فوق شعره الكثيف، وتمنت لو عاد صغيرًا كما كان بمشاكله البسيطة التي مهما تفرعت لن تصل في النهاية إلى حد تعريض حياته للخطر.

*****

وقف (مخيون) بعيون حمراء لقلة نومه في منتصف الغرفة ينظر مليًا لمن ينغمسون في الأرض، وتلتف حول سواعدهم سلاسل حديدية، كانوا أربعة يعلمهم جيدًا، وتحاكي كل تفصيلة فيهم قصة مريرة عاشها وهبطت به لفوهة الجحيم. حدثهم بنبرة حادة:

-خمس سنين، تفاصيلكم كانت بتترسم جوايا بحجارة السجن، ودلوقتي رجعتم لجحركم يا ولاد الأفاعي.

كانوا يرون ضخامته وقلوبهم تكاد تتحول إلى جماد من الخوف، تعلقت عيونهم به عدا هيام كانت ترنو بنظرها نحو قدمه خائفة من مصيرها المجهول، وسألت في بالها «ماذا اقترفت لأكون هنا»؟

-حسن بيه، الأستاذ حسين المحمدي، هيام هانم، رامي فرادس الطفل البريء، كلكم صور شيطانية قذرة بتداري نفسها وراء الصور البشرية.

قالها بصوت أجش، فسأله حسين المحمدي وشفتاه ترتجف:

-إحنا هنا ليه يابني؟ لو عليا فأنا مأذتش حد طول حياتي، ويكفي إني بقعد كل يوم في بيتي مستني ملاك الموت في أي لحظة.

بكى كطفل صغير حينما فرغت كلماته، حاولت هيام طمأنته فمنعتها السلسلة الحديدية من ملامسته، واغتاظت لبكاء ذلك الرجل القعيد، فقالت بحنق:

-إحنا ليه موجودين هنا؟ وليه بتعامل راجل كبير في السن بالشكل ده، ورابط معانا طفل مكملش 14 ولا 15 سنة؟ وكمان الأستاذ اللي هناك ده باين إنه مبيقدرش يشوف، إحنا بنعمل إيه؟ وبأي حق بتكلمنا كده؟

حدجها بنظرة سوداء وكاد يفصل رأسها لكنه تراجع، وأردف بصوت مرتفع كاد يشق جدران الغرفة ذات اللون الأسود وهو ينظر لشعرها الكستنائي:

-مش عايز لت وعجن كتير، إنتوا كلاب، جزمتي المليانة خرة أنضف

منكم ألف مرة، واعرفوا كويس إن اللي هيتكلم بدون إذن عقابه هيكون شنيع يا ولاد الأفاعي.

بكى (رامي فرادس) من قوة الصوت وارتجف جسده بشكل متواصل وهو يرى (مخيون) بعيون ثاقبة، وظل حسن صامتًا غارقًا في ظلمته ببشرته السمراء وجسده النحيف، واستمر المحمدي في بكاءه، ونظرت هيام لقدم (غريب مخيون) مرة أخرى وهي تتنفس بصعوبة، فأكمل:

-في أي مكان لازم يكون هناك واجب ضيافة، ولأن ده أول يوم ليكم أوعدكم هتتبسطوا.

التقط من جيبه خنجرًا حاد وطويل، ومضى ناحية حسين المحمدي، تابعه الآخر ورنا نظره ناحية الخنجر فجحظت عيناه وتراجع للخلف باستكانة، أمسك (غريب مخيون) قدم حسين اليسرى، ومزق سرواله بني اللون، فظهرت قدمه المشعرة ووضع الخنجر عليها وسحبه للخلف، فتقطع اللحم وخرجت الدماء تروي قدمه كستارة حمراء ثقيلة، لم يشعر المحمدي لأنه فقد الإحساس بقدميه منذ أن أصبح قعيدًا، لكنه كان جاحظ العينين، يصرخ بعنفوان لخوفه، واختلط مع صرخاته صوت هيام حيث كانت تتابع المشهد كمدير فني يراقب منتخب بلاده في الدقائق الأخيرة قبل نهاية مُباراته بكأس العالم وهو مُتقدم بهدف وحيد، وانضم لهم رامي بصوته المبحوح، وهو يتابعهم بعين واحدة لأن الثانية تتذكر أيامه قَبل وفاة زوجة أبيه. اهتزت أذن غريب فكانت ستنفجر من أصواتهم، فصرخ فيهم وتطاير من فمه اللُعاب:

-اخرسوا، مش عايز صوت كلب فيكم يطلع.

وأشار بخنجره ناحيتهم مُحذرًا:

-اللي مش هيسكت رقبته هتكون تحت رجلي في ثواني.

صمتوا ومن شدة الخوف فقد حسن الكفيف وعيه وسقط بوجهه على الأرض ذات درجة الحرارة المنخفضة، التي تشعرك بأنك في القطب الشمالي. تركهم واتجه ناحية الباب الحديدي وأوصده من الخارج بقوة مُتخيلًا نفسه يجذب أحدًا منهم ليفصله عن الحياة. نظرت هيام حولها خائفة، جذبت يدها محاولة تحريرها فتلاقت مع عنفوان الحديد والفولاذ، حدثت رامي بصوت هادئ:

-حبيبي أنت كويس؟

لم يعرها انتباه، فكررت كلماتها حتى نظر لها، وهز رأسه بلا.

فقالت محاولة طمأنته:

-متخافش، إحنا معاك ومحدش هيقدر يعملك حاجة.

-أنا مش قادر اتنفس، وسقعان جدًا، وحاسس إني هموت هنا، ومحدش هيقدر ينقذنا.

كتمت دموعها وهي تستمع لبكاء حسين المحمدي ذي الجسد البدين، والدماء تنبعث منه كأشعة الشمس في يوم صيفي حار، وأردفت:

-متخافش يا حبيبي مش هتموت، أنا معاك.

وقالت لحسين:

-وأنت يا بابا أنا هحاول أدور على أي حاجة نوقف بيها النزيف ده بسرعة.

اضطرم القلق بين نفوسهم، وقُتلت الطمأنينة بسيف غادر يرفض الرحيل. فتحت هيام فمها محاولة طمأنة المحمدي مرة أخرى وقبل خروج حروفها، أظلمت الغُرفة وسبحوا جميعًا في خليط من الصقيع لانخفاض درجة الحرارة وبين عباءة الظلام. توقف المحمدي عن البكاء وتساءل بفزع:

-النور راح فين، حد يرد عليا أرجوكم.

فجاءته الإجابة بوابل مياه نبعت من خرطوم وضع بفتحة مربعة صغيرة الحجم في الباب. استمرت المياه في السيطرة على أرجاء الغرفة، فاقشعرت أبدانهم من الخوف والبرد وارتجفت بشدة حتى كادت عظامهم تُفارق أجسادهم. اخترقت أصوات صراخهم المكان وتوقفت المياه بعد أن ارتفعت حتى (أربعين سنتيمتر). فُتح مربع في آخر جزء بالباب من فوق ونبع منه ضوء قليل وألقت يد منه بصندوق زجاجي متوسط الحجم مليء بالماء ويسبح فيه أربعة ثعابين مائية رأتهُم هيام ولم تقدر، فأخذت تَصرخ وتستنجد، لم يتبين رامي ما تراه وجحظت عيون حسين المحمدي لأنه الأقرب للباب، وأفاق حسن فشرع يحرك يداه بجميع الاتجاهات وهو يصرخ ويسألهم ماذا يحدث؟ فجاوبته يد من الفتحة الموجودة بالباب وألقت ناحية المحمدي سمكة كبيرة ذات لون فضي، والكثير من الفئران التي بمجرد نزوحها إلى الماء راحت تقاوم الغرق وتتجه ناحية الأربعة ثم أغلقت الفتحة فأظلمت الغرفة، وارتفع صوتهم وهم يطلبون من الله حمايتهم مما يقع.

*****

(6)

أنهى راغب التشريح النهائي لجثة (قمر) وهو مكدود على أمره وكتب تقريره عن سبب الوفاة وسلمه، وأخفى ما وجده داخل الجثة في مكان مجهول، كانت تحوم حوله خيالات وظلال عديدة وهمسات بصوت منخفض مرعب طوال فترة التشريح، فقدم طلب بإجازة لمدة شهر، ولم يقدر على إسناد أمر وخبايا جثة (قمر) لأحد قط، حتى والدته كف عن إخبارها بما يقع وأوهمها أن العصابة لم تعاود الاتصال به، هي قليلة الذكاء لكن بالطبع علمت جيدًا أنه يخدعها، وأن أمر العصابة لن ينتهي إلا بشر خطير سيقع في أي وقت. داهم الحزن والخوف منزل راغب، فألغى زيارة كمال التي أعدت لها نفيسة ما لذ وطاب متعللًا بحجة مرض خالته وتواجد والدته معها. وقد طلب راغب من نفيسة الذهاب لمنزل خالته، والبقاء هناك حتى يصل لحل في أزمته، رفضت في البداية وامتلأت عيونها دموع مكنونة تكاد تنفجر، فاغتاظ ودخل في وصلة من التوبيخ الغير مقصود، مُحذرًا إياها من تواجدها بمفردها، لأنه يعمل أغلب الوقت فيصعب على العصابة الإطاحة به إن تطلب الأمر، أما هي تظل طوال اليوم بالمنزل مما يعرضها للخطر. أذعنت والدته لكلامه بفؤاد يملؤه الشجن وحزن بالغ القسوة، وشرعت في تجهيز بعض مقتنياتها وملابسها ووضعتهم في حقيبة كبيرة، وطلب مِنها ارتداء نقاب حتى لا تعلم العصابة بمكانها لأنها بالطبع تراقب المنزل، فارتدته ومضى معها على درجات البيت وصولًا للطابق الأخير ثم السطح أثناء

منتصف الليل، وسارا على أسطح العمارات حيث كانت الأسطح متلاصقة ببعضها ووصلوا لنهاية الشارع الذي يقطنان فيه، فقبّل رأسها ويديها، وودعته بالدموع ثم دلفت من فتحة السطح وصولًا للطابق الأرضي وركبت سيارة أجرة كانت تنتظرها. جلس راغب في الصالة على أريكة متوسطة الطول، ثم نام بظهره ونظر للسقف ذي البياض الناصع، خلع نظارته الطبية فبهتت رؤيته، وكانت تسري بداخله رجفة أخذت وقتًا كبيرًا من الوقت ولم تنته، عقله توقف عن التفكير وكان ينتظر مُهاتفة العصابة له مقررًا بباله منذ فترة إعلان رفضه لطلبهم. لمح بطرف عينه اليمنى خيالًا لشخص يسير بصعوبة ناحية المَطبخ نظر سريعًا فلم يتبين أحد، دب الرعب داخل قلبه، فقام وضغط على أزرار الإنارة بالمنزل كله، ورجع لأريكته وأمسك بهاتفه وتفاجأ حينما رن هاتفه ووجده (رقم خاص)، رد بيد ترتعش وتكاد تنخلع، فسمع صوت يعرفه جيدًا:

-دكتور راغب صديقي العزيز، سيبتك فترة ومحبتش أضغط عليك، بس في الحقيقة لما عرفت إنك سلمت التقرير كان لابد أكلمك.

-أنا مش هقدر أسلمكم حاجة، وبعدين إيه يضمن لي متقتلونيش لو وافقت أديكم اللي لاقيته.

قالها بلسان مرتعش، فجاءه الرد بهدوء:

-نبهت عليك قبل كده متوجهش أسئلة نهائي، وموضوع إنك متديناش اللي لاقيته ده بيعرضك للخطر صدقني ومحدش هيحميك، وأظن مافيش داعي يخلينا نقتلك لو نفذت المطلوب منك.

نظر حوله التقط أنفاسه بصعوبة تذكر قسمه وقت تخرجه أمام الله،

شعر بقوة تنبعث داخله وكأن أوصاله مصدرها، ودبت فيه روح تأبى تنفيذ تعليمات مخالفة لما تربى عليه، فقال بنبرة متعالية:

-مش هقدر أنفذ طلبك، فعلًا مش هقدر.

-بس كده بتعرض نفسك للخطر، مش أنت بس لا ده والدتك، وخالتك اللي في بنها، وابنك أو بنتك اللي بطن حبيبتك القديمة، اللي بقالك فترة مبتكلمهاش علشان خايف تتجوز وتعترف بفعلتك، بلاش تأدي دور الشريف اللي بيخاف ربنا عليا، علشان أنا قادر أحرقك أنت وأسرتك ومشرحتك، وأي شخص ليه صلة بيك في أقل من ساعة.

جحظت عينا راغب، وكادت تخرج من محجريهما بعيدًا لأن لوقع هذه الكلمات صدى كبير في قلبه، جعله يفكر ألف مرة فيما يفعل، فأعاد ترتيب حساباته سريعًا، وتبين أن من يحدثه يَعلم كل شيء عنه، ولم يهمل خطورة الموقف، فأردف بإذعان وخوف:

-أسلمك اللي لاقيته فين؟

-هقولك بعدين، دلوقتي أنت لازم تشوف عقابك هيكون شكله إيه علشان تبطل تماطل يا غبي، آسف يا صديقي العزيز.

أغلق بوجهه الخط فقام راغب مفزوعًا كالملدوغ، وطلب والدته ليطمئن عليها فلم تجبه، فهاتف خالته أجابته بعد عشر دقائق من رفضها للرد، وقالت بصوت هادئ:

-راغب في ناس غريبة دخلوا الشقة، أنا وأمك مستخبين تحت السرير بس أكيد هي...

لم تُكمل كلماتها، وأخذت تصرخ هي ووالدته، سألها مرات عديدة ماذا يقع لهما فلم تنبس بكلمة.

*****

فجرًا في أحد المقابر التابعة لمدينة حديثة الإنشاء.

بصق على الأرض واقترب من باب غرفته بقامته القصيرة وهو يربت على معدته التي تتدلى منه كأنها ستسقط لشدة حجمها، فتحدث ضجة جسيمة وتطاير مِنها روائح كريهة يفسد خلالها الأكسجين، زادت سرعته قليلًا حتى وصل لأماكن دفن الجثث، تفحص بعقله عدد الأموال التي سيجنيها قريبًا حينما يبيع ما اؤتمن عليه، فتبسم بأسنانه التي رغم مقاربته للسبعين عامًا لم يفقد منها سوى سنتَين فقط. غلف هدوء الليل ضربة مباغتة في باب حديدي خاص بمقبرة قابعة أمامه، فتساءل وغلبته لهجة ريفية أثناء كلامه:

-مين مستخبي ورا الباب؟ انطق بدل ما أضربك بالنار.

جاوبته السماء بأمطار غزيرة فجأة فغرق جلبابه بني اللون، قطب حاجبيه في ضيق وسب الشتاء، واقترب من الباب الحديدي بخطوات بها عَرج في قدمه اليسرى، ونظر للداخل فلاحظ رأسًا سوداء ملقاة على مسطبة صخرية بالداخل، ويغطيها الشعر من كل جانب، خفق فؤاده وظَل يرنو مَليًا، طامعًا في الوصول لتفسير سبب تواجد هذه الرأس بالداخل حتى اختفت، ولم يعثر لها على أثر حينما دقق النظر. ظل رجب التربي لدقائق ثابتًا أمام الباب ينتظر أي ردة فعل أخرى، لأنه اعتاد هذا كثيرًا منذ عمله في المقابر، فدائمًا الليالي الأولى للموتى

تكون الأصعب والأجرأ؛ فهناك جثث حينما يغيم الليل عليها تدخل في وصلة طويلة من الصراخ والعويل المتواصل كأنها تُعذب، وجثث أخرى تنادي أسماء من كانوا يتعلقون بهم في الحياة ويبكون بأصوات عالية تصُم الآذان، وجثث ثالثة تكتفي بالطرق الشديد على الأبواب الحديدية للمقابر محاولة اصطياد أي شخص قد يتواجد بالمكان لتدفعه ناحية مصَب الجنون، وجثث لا تحدث ضجة وتلتزم بالصمت فقط حتى لا تخيف من حولها. وبين هذه الأمور الخارقة للطبيعة التي تخلق حالة مفعمة بالخوف اكتسب رجب خبرته في التعامل عبر مواقف عديدة تطرق فيها للعقل والمنطق والحجة، وعندما لم يصل لفائدة تطرق ناحية الصمت بلا قلق. فاعتاد التعامل مع الخوارق، ورؤيته للرأس السوداء هذه الليلة تذكره باليوم الذي جاءت إليه جثة صبي صغير مات غرقًا أثناء رحلة أسرته لمدينة رأس البر، وبعدما دفنه وتحصل على ما يرضيه من أقاربه، ذهب إليه ليعلم في أي فئة يضعه حتى يعرف لمن يبيعه من طلبة الطب، فتفاجأ رجب بالولد يقف أمام قبره وتكسوه الكثير من المياه سار ناحيته بوجوم وخوف، وحينما مد يده فوق منكبه ضربته كهرباء عنيفة فتراجع للخلف وأخذ يصرخ بشدة، والتفت ناحيته الصبي فشاهد وجهه المليء بالديدان وعينيه السوداء، حاول الهرب لكنه اصطدم بجثة متعفنة، نبعت خلفه بدون مقدمات ففقد وعيه وحينما استيقظ لم يجد شيئًا. ما يتعجبه رجب الآن بعد كل هذه السنين، لماذا جثة تلك الفتاة التي جاءته من المشرحة وتدعى (قمر) مازال تأثيرها حاضر؟ فأقصى وقت تقوم فيه الجثث بعد دفنها بمضايقة من حولها في المقابر هو ثلاثة أيام، لقد مر عليها أسبوع، فلماذا لم تهدأ؟ سؤال يدور بباله بلا إجابة!!! بعد دقائق قَليلة مضى رجب خائبًا خائفًا متعجبًا

ناحية الطريق الذي ينتهي بغرفته المقيم فيها وحده بعد وفاة زوجته ومقاطعة أبنائه بسبب أفعاله الدنيئة؛ حيث كان يطعمهم بأمواله التي يجنيها منبيع لحم وعظام الأموات المساكين. دلف يسارًا وقبل أن يفتح باب غرفته وجد ظلًا يتحرك بالداخل على ضوء القمر الضعيف، جرى وفتح الباب فاصطدمت عيونه بشيء لم يتوقعه.

*****

أشرقت الشمس وظل مخيون مستيقظًا فوق سريره يدخن بشراهة لم ينم منذ وقت، يفكر جيدًا فيما سيقع خلال الأيام التالية وهو متسع العينين ويمسك بمجموعة من الأوراق، وتتعلق بكل ورقة منهم صورة لضحاياه الذين يعانون من البرد والماء داخل الغرفة، قرأ بعضًا من المعلومات حول هيام، وحسين المُحمدي، ومن شدة غضبه، قطع أوراقهما، وهو مرغم على كبوته التي وقعت قَبل خروجه من السجن بوقت قليل للغاية، فلم يضعها بالحسبان. أنهى علبتين من سجائره المفضلة، وخط بقلم أحمر نهاية لكل شخصية تقبع في الغرفة المظلمة نهاية سترضي غروره، نهاية ستمرق نحو الفضاء الشاسع فتريح جزءًا مِن نفسه، وقد لا يقتلهم إلا إذا وصل لمراده المفعم بالشجن بسبب ضياعه.

*****

في الغرفة المظلمة دخل الأربعة بحالة من اللاوعي فقدوا قدرتهم على الاستنجاد وتلخلخت أوصالهم بسبب جلستهم الطويلة في المياه والظلام، وحول الظلام هنالك صديق يعيش فيه منذ ثلاثين عامًا، حسن ذو البشرة المقاربة للون الظلام، وعينيه تتفوهان بالظلام، ويقبع الآن

في مكان مليء بالظلام، ورغم هذا لم يكره قط اللون الأسود. فقد حسن وعيه أكثر من مرة لكنه سرعان ما يعود ثانيًا هو أقلهم شجاعة وأكثرهم جفاء، لما قضاه وعاش في وجدانه منذ أن انفصل والده الثري عن أمه التي لسطوتها ونفوذها الكبيرين هاجرت لبلد أخرى مبتعدة عن ولدها الوحيد. وبعد سنة تزوج والده من سيدة عشقها للغاية، فجعلته يسافر معها للخارج ويترك حسن في سن العاشرة مع أخته التي تخطى عمرها الخمسين ولم تكن متزوجة. كانت تعامله بسوء، ولا تناديه سوى (بالكفيف ذي العاهة)، وأثبتت كرهها له مع مرور الأيام؛ استحوذت على الأموال التي كان يرسلها أبيه من الخارج، وحينما كان يهاتفه مرة وحيدة خلال الشهر تجعله مرغمًا أن يبتسم ويؤكد خلال المكالمة أن عمته تعامله كابنٍ لم تلده. ولولا اهتمام والده الضعيف بأن يكمل تعليمه في إحدى المدارس لكانت أخرجته لتوفير النفقات. ظل هكذا لسنوات وتطور الأمر لأنه حينما كان يقع خطأ غير مقصود تعاقبه لأيام وتحبسه في الحمام، وتناوله بجفاء رغيفًا باليًا وبصلة صغيرة يعشش بداخلها الدود. تربى على النشأة الصعبة فكره الطعام ونحف بدنه الطويل، حتى بلغ سن الرشد وقرر الانتقام من عمته، فطردها مُستغلًا إصابتها بمرض (الزهايمر) بمعاونة صديقه الذي تحصل منه على أموال كثيرة، وطرد بعدها الخادمة التي جلبتها عمته في أيامها الأخيرة أيضًا، وأقنع والده أنها توفت، وأظهر له حزنًا شديدًا على فقدانها، وفيما بعد جلب خادمة تعينه على مشقات الحياة، فأصبح يعيش في رغد مستمر، ولكن تذله أيامه الصعبة التي عاشها من وقت لآخر. حرك حسن ساعديه فلاحظ أن المياه تسحب من أسفله، تهللت أساريره، وتحدث بفرح:

-المياه بتتسحب، المياه بتتسحب، حد يرد عليا.

جاوبته هيام بجسد هامد وصوت متهدج لكثرة صراخها:

-أيوه المياه بتتسحب.

استرد رامي وحسين المُحمدي وعيهما، فتسأل رامي:

-إيه اللي بيحصل؟

جاوبه حسن:

-المياه بتتسحب من تحتنا، الساقعة هتقل، إحنا خلاص كنا هنتجمد.

بعد عدة دقائق فرغت الغرفة من المياه وعاد التيار الكهربائي مرة أخرى، ووجد الثلاثة صعوبة في الرؤية فحجبوا بسواعدهم الضوء عن أعينهم لفترة، ثم جحظت عيون هيام فجأة لما شاهدته ينغمس في قدم حسين المُحمدي التي جرحها (غريب مخيون) بالخنجر، حاولت الصراخ فلم يستجب حلقها، كانت هناك سمكة (بيرانا) ميتة وتتعلق في قدمه بفمها، وقد التهمت جزء كبير من قدمه وصولًا لأسفل ركبته، وعلى نواح متفرقة في الأرض، قبعت الثعابين التي ألقيت من الباب في سلام بلًا حراك، وبجانبها الفئران لا تتحرك بسبب غرقها في المياه.

-رج.. رجل... رجلك.. ب..ص.. بص ع... عليها.

قالتها هيام بصعوبة لحسين، فتح عينيه ونظر وحينما حاول الصراخ لم يعاونه حَلقه، فأخذ في ضرب رأسه بالحائط، ثم مد ساعديه ناحية السمكة بخوف وجذبها بلا إذعان، فخرجت من قدمه بلحم تعلق في أسنانها، وألقاها بعيدًا وقَلبه تتصارع دقاته، أفرغ رامي من معدته

العصارة الصفراء، وتقززت نفسه مما شاهده وراح يضرب السلسلة الحديدية التي تربطه بالحائط بغير استكانة.

*****

خرق صوت طرقات على الباب هدوء الشقة فرفع راغب جبينه من فوق قدمه وقام ليفتح ظنًا أن والدته قد عادت، فجذب الباب ناحيته واصطدم ببشرة سمراء، وشعر أسود ناعم، هيئة يعرفها جيدًا، وتُضمر صاحبتها العديد من الأسرار الغير معلومة لأحد سواه. نظر ناحية الأرض في حرج وأردف:

-اتفضلي.

دلفت بسَكينة وجلست على الأريكة بملابسها الواسعة الرقيقة. تلاقت عيونهما ببعض للمرة الثانية في هذه الزيارة، فحدثها راغب بحزن:

-عارف إنك مستنياني أجي لبابا، بس حقيقي الظروف دلوقتي صعبة، والدتي..

قاطعته:

-مخطوفة.

اندهش وسألها:

-إنتي عرفتي حاجة؟

-جالي تهديد في التليفون من كام يوم، إني هكون في خطر لو محاولتش أقنعك تنفذ كلامهم.

-كلامهم؟ هما مين يا نيرة؟

تسأل وهو يعلم كل شيء، فردت:

-مش عارفة، بس اللي كلمني كان صوته هادي أوي، وبيطلع كل كلمة بحساب كأنه صاحب منصب كبير، وقالي لازم أفهمك تتصرف إزاي، وبيحذرك بلاش تبلغ الشرطة، وبلاش حد غيرنا يعرف الموضوع ده، ولازم تسلمهم اللي أنت لاقيته في جثة البنت بعد أربع أيام الساعة 11 بليل، وبعتلي «لوكيشن» على «الواتساب».

بسط راحتيه في استكانة وقال ودموعه تنهمر:

-اللي أنا فيه ده حرفيًا كارثة سلسلتني من غير حل، أبلغ؟ ولا أبيع قسمي؟، قوليلي إنتي الحل إيه؟

أمسكت يديه وسبحت فيهما شعر بدفئها واستنشق عطرها المُمَيز، لم يقدر على إضمار اشتياقه لها أكثر من ذلك فضم رأسها لصدره بقوة، وقبَّل شعرها، اختلطت مشاعر الجسدين ببعضهما، وكونت حزمة جسيمة من الاطمئنان داخل الطرفين تيقن أنه لا ملاذ له سواها ولا قوة له بدونها. ظل الاثنان هكذا، حتى قالت نيرة:

-عارفة إن قسمك غالي، بس لازم تسلمهم اللي لاقيته يا راغب، علشان والدتك وخالتك، وعلشاني، وعلشان....

صمتت، فأكمل:

-علشان اللي في بطنك وأنا أنكرته رغم إنك متستاهليش مني حاجة وحشة.

انفصلت عنه بهدوء، وقالت:

-لازم أمشي، خلي بالك من نفسك، وأرجوك ضروري تسلمهم اللي عايزينه.

مضى معها نحو الباب وقبل رأسها ويدها، وتركها تذهب. رن هاتفه برقم كمال حاول ألا يُجيب لكنه انساب لخوفه عليه بأن يصاب بمكروه ضمن ما يقع من أحداث فأجاب ووجد كمال يَطلب حضوره للمشرحة سريعًا في أمر عاجل للغاية، فأغلق وارتدى ملابسه سريعًا، وانطلق إلى سيارته.

*****

وقف كمال يدخن بشراهة أمام بوابة المشرحة ويتمعن بعقله في كبوته الجسيمة التي راحت تلوح أمامه وكون فوقه سحابة كثيفة من الدخان، كانت تتحرك يمينًا ويسارًا كالثُعبان، ولم تكف إلا حينما أمطرت السماء بغزارة فوقها فقضت عليها. ضيق كمال عينيه فلاحظ اقتراب سيارة راغب من بعيد، فأشار له ليقترب من الجراج ومضى ناحيته سريع الخُطى. داخل الجراج توقف بسيارته وانتظر بها حتى اقترب كمال من بابها وجلس بجانبه، سأله الآخر بأحاسيس يساورها الشك:

-في إيه يا كمال؟ أنا على أخري، وعايش لوحدي في كارثة أكبر مني ميت مرة، ومش مستحمل توتر.

رد بعيون متسعة:

-من يومين المشرحة حصلت فيها حادثة كبيرة.

-؟؟؟؟

-في عصابة هجمت علينا بليل كان معايا دكتور ماجدة مديرة المشرحة، وموظفة الاستقبال وبقيت الدكاترة روحوا، كُنت واقف وقتها بشرح جثة، وبعد ما خلصت خَرجت وقفت في شباك الطرقة، لاقيت عربيتين كبار بيقفوا قُدام البوابة، ونزل منهم حوالي 7 كانوا لابسين بدل ومغطين وشوشهم ومعاهم أسلحة، ضربوا فردين الأمن في دماغهم، ومخرجتش أصوات من أسحلتهم، كانوا حاطين كواتم صوت، بعدها جريوا ودخلوا البوابة، فجريت شديت دكتور ماجدة وموظفة الاستقبال وطلعنا الدور الأخير، وقفلنا على نفسنا في غرفة كاميرات المراقبة الباب الحديد بتاعها علشان نضمن إن محدش يقدر يدخلنا.

توقف كمال وأمسك برأسه وأغمض عينيه كأنه يعيد زمن الحادثة من جديد، وراغب لا يصدق ما يرويه مُتمنيًا أن يكون عاد صديقه للمقالب التي كان يقوم بها قديمًا، حتى أكمل الآخر بعد دقائق قصيرة بصوت مُتهدج:

-كُنا شايفينهم وهما بيدوروا على أي حد في المشرحة علشان يقتلوه، بعدها دخلوا غرفة التشريح، وفتحوا التلاجة الكبيرة، ورموا الجثث في الأرض، وفضلوا يدوروا على جثة معينة كانوا ماسكين صورتها في إيدهم، وفي الأغلب ملقوش اللي عايزينه، فجريوا وركبوا العربيتين ومشيوا.

خلال حديث كمال كان يمسك بورقة صغيرة وقلم جاف، ويكتب شيئًا لم يتبينه راغب وبعدما أنهى كلامه، ألقى بهذه الورقة الصغيرة بين فخذي راغب فأمسكها الآخر، وقرأ ما بها «»متبصش وراك ولا في حتة غير عليا، وحاول تتكلم ومتبينش أي حاجة لأن في حد بيراقبنا««

جحظت عيون راغب وهو يقول:

-وإيه اللي حصل بعد كده؟

فاسترسل كمال في حديثه وهو يكتب ورقة أخرى وكرر نفس الفعل، فقرأها راغب «»في جهاز جوه هدومي بيسجل اللي بقوله، حاول مهما حصل متقولش أي معلومات مهمة عن اللي لاقيته جوه جثة قمر»».

-دكتورة ماجدة بلغت باللي حصل يا كمال؟

قالها راغب وهو يحاول جمع الخيوط ببعضها ليفهم، فرد الثاني:

-بلغت وجم حققوا، والموضوع اتكتم عليه بشدة، وزودوا الحراسة برة عند بوابة المشرحة، مش ده المهم يا راغب، المُهم دلوقتي أنت إيه حكاية جثة قمر دي؟، لما العصابة دخلت سمعناهم بيقولوا جثة قمر، وراغب في الميكرفون بتاع كاميرات المُراقبة، وتكتمت على الموضوع أنا ودكتورة ماجدة وموظفة الاستقبال علشان متتأذيش.

أشار بيديه من أسفل بألا يجيب بشيء مفيد عما سأله، ففهم راغب وقال وهو يسترق النظر حوله بخوف:

-الحوار ده كبير، هقولك كل حاجة متقلقش، بس دلوقتي أنا محتاج مرجعش الشغل الفترة دي علشان في خطورة على حياتي.

-أرجوك يا راغب لازم تطمني وتحكيلي كل حاجة، وكل تحركاتك، وأنا مش هسيبك خطوة بخطوة هكون جنبك، خلي بالك من نفسك.

فتح باب السيارة وألقى له بورقة أخرى، ومضى ناحية بوابة المشرحة حتى كمن داخل المبنى وأدار راغب مقود السيارة وسار عائدًا نحو

منزله، والخوف يتجسد في هيئة وحش ضخم بمخيلته.

******

فُتحَ الباب الحديدي فطارت الأعين الخائفة نحوه محاوله استعطافه فلم يُبال، أشار بسبابته للمحمدي وقال:

-حسين المحمدي، أنت أذتني أكتر من مرة، وعلشان كده أنت هنا، رجلك مع الوقت هتعفن، ودمك هيتسمم، ونهايتك هتريحك، بس أنا مش هرتاح.

لم يقدر المحمدي على رفع عينيه من قدم مخيون، فأكمل ذو الجسد الضخم:

-أستاذة هيام، أذتيني مع المحمدي، بس إنتي حسابك هيكون مختلف شوية، يمكن يكون أقل قوة من المحمدي، بس أوعدك إنك هتشوفي معاملة ولاد أفاعي على حق.

دار مخيون حول كرسي خشبي بقامته ومنكبه الضخم، ومسح على رأسه وهو يقول:

-مافيش حد فيكم هنا مأذنيش، مكلش في لحمي وعرضي وأنا جوه السجن مافيش حد فيكم رحم بنتي ولا رحمني، رغم إني مكنتش سيء معاكم، لكن الكلام ده مش هيجيب نتيجة لأن أوانه فات.

بكى رامي، وتفجر الغضب على وجه حسن، فوجه حديثه لهم بعلو صوته:

-متعيطش، أنت عارف كويس عملت إيه مع بنتي، واتسببت في إنها

كان عندها مشكلة في المشي. وأنت يا كفيف حسابك هيكون أسوأ منهم كلهم لأنك لعبت بقلبها، وضحكت عليها في أكتر وقت كانت محتاجة حد جنبها.

رفع ساعديه نحو الجدران الأربعة، وألقاها بصوت مرتفع:

-محدش هيقدر يرحمكم مني تحت أي سما، واللي هيطلب منكم هيتنفذ.

دنا ناحية حسين المحمدي وجذبه من تلابيبه، وهو يصرخ فيه:

-فين الصندوق؟

رد بصعوبة:

-مش فاهم

صفعه بقوة، وبصق بوجهه، وكرر سؤاله، فقال المحمدي:

-لو الصندوق اللي كان فيه التمثال الدهب فهو مبقاش معايا.

-هتموت هنا، وجثتك هتعفن قدامهم أول واحد مافيش قدامك حل غير إنك تقولي الصندوق فين؟

فقد وعيه فأخذ مخيون في ضربه ثم حرره من سلسلته، وأخرجه لطبيب كان ينتظر بالخارج لبتر قدمه ومعالجته، وقبل أن يوصد الباب تحدث بحزم:

-أوعدكم هتشوفوا ليلة أسود من ظلام الفضاء يا ولاد الأفاعي خلال يومين.

أوصد الباب فأحدث صوت احتكاك قوي، وصرخ في رجاله لينفذوا ما أعده لمن بالداخل منذ وقت طويل، لكن إطعامهم بالقليل من الخبز، وإمدادهم بالماء أولًا أمر حتمي حتى لا يفارقون الحياة.

*****

المقر الخفي للمنظمة، الثامنة مساءً في منطقة سرية معزولة عن السكان بأحد الدول الأوروبية:

دنا سيد الأكوان من باب ضخم بجسده البدين وهو يفكر مليًا في الأحداث الأخيرة التي وقعت، نبت على وجهه القليل من الضجر، وأعاد تقرير ذي الشارة الحمراء بعقله مرات عديدة، وتساءل بباله كيف تجرؤ عصابة متناهية الأهمية على قتل (قمر) سفيرتهم بمصر، لتتحصل على الأحجار الكريمة التي كانت بداخلها، ومن ثم تقوم هذه العصابة بتهديد كمال وراغب لتصل للأحجار؟ فتتخطى حدودها للمرة الثانية ولولا وجود والدة راغب في مقر المنظمة بمصر، ووضع حراسة لحماية راغب لكانت اغتالته هذه العصابة وسفكت دماءه، وهي الطريقة الغير محببة بالنسبة له، فالورع والتقوى هما حجرا زاوية لا تهمل أهميتهم بمنظمته، لكن لإهدار الدم ضرورة في بعض الأحيان. تفرس سيد الأكوان جدران القصر الذي يقطن فيه، واتخذ قراره المتأخر كثيرًا فطلب حضور ذي الشارة، وأطلعه عما يدور بخاطره، وأكد عليه ضرورة الحفاظ على روح راغب بسلام، وإعادة والدته وخالته له بعدما يسلمهم الأحجار الكريمة التي وجدها داخل جثة (قمر)، حتى لا تفقد المنظمة طهارتها ومن ثم تقع في خطأ هيرودس الملك، وغيره.

*****

قرأ راغب بنظارته الطبية وهو يلتهم علكة فراولة بعد غياب طويل الورقة التي أعطاها له كمال قبل خروجه من السيارة، فلم يهدأ خاطره وتوقع وقوعه في خطر داهم، هو وكمال، وزوجته، ووالدته، وخالته، وقد حذره كمال قائلًا في الورقة:

-في عصابة بتحاول توصل للأنبوبة الصغيرة اللي لاقيتها جوه بطن (قمر)، العصابة دي اللي فهمته إنها اللي قتلت (قمر) والرجالة اللي كانوا معاها لما جت من المطار، الموضوع خطير يا راغب، العصابة دي هددتني بأنها هتقتل مراتي لو مدلتهمش على مكان الأنبوبة، ولولا إنهم عارفين كويس إنك متراقب من العصابة التانيه اللي (قمر) كانت بتشتغل معاهم وكلموك كذا مرة، كان زمانهم قتلوك في بيتك بدون تفكير. أنا مش عارف اتصرف إزاي؟ بس أرجوك لو في إيدك حل لازم تقولي عليه، ومش عايزك تستغرب من المعلومات اللي عرفتها دي، هما قالولي على حاجات كتير علشان أساعدهم ضدك، سلام.

بصق راغب علكته في الارض فلم يعد للاستمتاع مكان بداخله، واندفع ناحية هاتفه بعيون واجمة، وقلب مُلتاع، وغيوم داهمت أحاسيسه ولبدتها بأشواك سامة داكنة اللون، ظل ثابتًا يمسك بهاتفه مُنتظرًا مكالمة ذي الصوت الهادئ له ليطلعه على ما وقع. مَرت عليه ثلاث ساعات كاملة، ارتعد بدنه مرات عديدة خلالهم، فكاد يفقد توازنه ويسقط، ولم تكف يداه عن رعشة طويلة الأمد، حولته لطفل رضيع يفتقد أمه، ولسحابة تركت قطيعها في السماء ودلفت ناحية بلد حارة فانزلقت فوق رؤوس شعبها في حزن، ولمركب ثقبت أثناء مَد بحري عنيف بليلة شتوية فغرقت أسفل القمر الذي تقلقل كأنه سيسقط. رن الهاتف فانتفض راغب وزادت ضربات قَلبه، نظر فوجده الرقم الخاص الذي

يطلبه دائمًا، أجاب واستمع لصوت لم يألفه من قبل، قال له في حزم:

-صاحبك كمال الأهبل كان فاكر نفسه زكي، وهيفلت مننا لما يكتبلك كام ورقة يحذرك فيها إننا مراقبينه، بس هو غبي، وأنت غبي، الموضوع كبير، وزي ما قتلنا (قمر) وهي جاية من المطار، ده هيكون مصيرك أنت وكمال ومراته لو مسلمتناش (الماس) النهاردة، ومحدش هيحميك مننا، مكنتش حابب إن دي تكون الطريقة، بس أنت وصاحبك الغبي اضطرتونا لده لما اتعاملنا معاكم باحترام.

-أسلمكم الماس فين؟

لم يندهش الآخر من سرعته، أو عدم الدفاع عن نفسه، فأردف:

-النهاردة الساعة بليل، هتجيلك عربية سودة كبيرة تحت البيت، متركبش فيها إلا لما تتأكد إن محدش مراقبك، ومتنساش تجيب معاك الماس، علشان مش هتردد لحظة أسلخك وأصفي دمك.

قال راغب بصوت مُتهدج:

-أرجوك متأذيش كمال ومراته، أنا هعملك كل اللي أنت عايزه.

-أتمنى تنفذ كلامي فعلًا علشان متشوفش اللي عمرك ما شوفته، وخلي بالك كويس، أوعى تحاول تبلغ أو تتصل بحد، ولو صاحب الصوت الهادئ كلمك، متردش.

انتهت المكالمة وقع من يده الهاتف، ونام بظهره على الأريكة، محاولًا الوصول لشط النجاة الذي لاح بعيدًا فلم يتبينه واضحًا.

*****

لم ينس قط رجب التُربي ما شاهده بغرفته ليلًا منذ يوم حينما وجد ظلًا يعبث بالداخل، وعندما فتح الباب تعلقت عيونه بجثة (قمر) تجلس أمامه على كرسي خشبي عتيق وتغلق عينيها، حاول الهَرب فوجد باب غرفته ينغلق من تلقاء نفسه، وبقى وحده في الظلام مع جثة الفتاة فقد وعيه في الحال، وحينما استيقظ صباحًا وجد بعض الدماء فوق الكرسي الخشبي، فقرر التخلص منه عن طريق حرقه. حل المساء عقدة النهار وكان الجو شاغرًا من الضوضاء، وخلا رجب بنفسه أمام المقابر ليحتسي القليل من الشاي، وهو يمسك في يده سيجارة محشوة بالحشيش. تعجب مما يحدث وأخذ يفكر في حل يخلصه من جثة الفتاة التي سببت له أزمة كبيرة لم تراوده من قبل، سحب بعض الأنفاس السريعة من سيجارته، حيث بدأ مفعولها بالسريان لداخله فهدأت أوصاله كأنها انسابت في مياه هادئة، تراجع برأسه للخَلف وتأمل السحب وهي تتحرك ببطء في السماء، فداهمه صوت خبطات سريعة على باب حديدي، انتفض وفاق من رحلته التي بدأها منذ لحظات، ورنا بنظره ناحية المقابر فتكرر الصوت مَرة أخرى، وعلم أنه يأتي من قبر الفتاة اللعينة، سبها بلسان ثقيل ودلف بقدميه ناحية الغرفة هربًا من المصير المجهول. زادت الطرقات خلفه فصرخ ومضى سريعًا، لكنه وجد نفسه فجأة يقف أمام قبر (قمر)، وباب القبر الحديدي يهتز بقوة حتى انفتح، تثبت رجب في الأرض بجسده البدين الذي زاد ثقله بعد سيجارة الحشيش، ونظر لداخل القبر صاحب الظلام الدامس لم يتبين شيئًا بالداخل، حاول الهَرب لكنه وقع على وجهه ورأى خلفه قدم سوداء تخرج من القبر وتدلف ناحيته ببطء، زادت ضربات قلبه وأخذ يبكي كالأطفال حينما تموت أمهاتهم، وتدلت الجثة كاملة أمامه ومدت يدها ناحيته ثم شرعت في جذبه

لداخل القبر، تَمَسك رجب بالأرض وجُرحت أظافره لاحتكاكها بالحصى فخرجت دماء كثيره منه، ولم تصمت حنجرته عن الحركة فوصل صراخه للمناطق المحيطة حتى أنقذته العناية، حينما وجد شخصًا يجري ناحيته من بعيد، ويمسك في يده خشبة كبيرة نظر ناحية القبر فوجد الجثة تكمن للداخل والباب الحديدي ينغلق خلفها مباشرة.

*****

(7)

اقترب مخيون من باب الغرفة وبيده صاعق كهربائي ضغط عليه فأصدر صوتًا مُرتفعًا تعلقت ناحيته الرؤوس الثلاثة فتبسم في ثقة، ودلف بثبات ناحية حسن الكفيف، سحبه إلى منتصف الغرفة فوقف الثاني بجسد مُرتعش وحبات العرق تتكاثر عليه وتكاد تفصل جِلده عن بدنه ورغم ذلك لم يتساءل، لم ينطق، وسخام القدر يخطو في مخيلته مشاهد جسيمة الخطورة قد تقع له الآن دون حساب. حاول التحدث بعد ثوانٍ من وقفته، فلم تعاونه شفتاه. ضربه مخيون على مؤخرة رأسه فتذكر حياته الرغيدة حينما تلاعب بالفتيات وأهان أرواحهن قبل أجسادهن.

-ممكن تخرجوا من هنا، وتترحموا من قسوتي، بس بشرط.

قالها مخيون والتفت لحسن بوجهه فصفعه بقوة، وسألته هيام وهي في غاية التشويق من كلماته:

-إيه هو؟

مضى راغب ليلًا من منزله وصولًا لآخر الشارع نظر حوله ليتأكد من خلو الشارع كما أوصاه مَن هاتفه، لكنه تمنى أن يقطره أحد رجال العصابة الأخرى التابعة لذي الصوت الهادئ. مَرت دقيقتان ظهرت بعدهما سيارة سوداء وتوقفت أمام راغب، فتح بابها وكمن داخلها في استكانة وبجانبه رجلين وضعوا قماشة سوداء على عينيه، وسارت السوداء مبتعدة لمكان يجهله طبيب التشريح.

*****

-تعترفوا بذنبكم قدام كاميرا هصوركم بيها، والاعترافات دي هتروح للنيابة.

قالها مخيون في حزم:

فحدثه رامي بعيون باهتة وكلمات متهدجة:

-أرجوك أرحمني.

-بس أنت مرحمتش قمر بنتي، ولا رحمت مرات أبوك.

فقد القدرة على البكاء لكن لم يفقد خوفه الداخلي، ولاذ بالفرار نحو الصمت، ناول مخيون حسن جرعة خفيفة من الصاعق فاهتز بدنه وسقط فرفعه وهو يقول:

-موافقين على عرضي ولا لأ؟

صمتوا جميعهم كانت الإجابة واضحة كالطيور في السماء وقت الصباح، وازدانت نفوس هيام، وحسن، ورامي بالسواد، فأردف:

-العرض انتهى، وواضح إنكم هتفضلوا شوية معايا، بس في شيء لازم تعرفوه، دار بجسده للخلف وناولهم ظهره ورأسه حليقة الشعر، وردد بصوت عالٍ:

-كُل ما الوقت هيزيد كل ما هتقلوا واحد.

خفق قلب حسن، وفُغر فم هيام على آخره، وبكى رامي بغير دموع. صعق مخيون حسن عدة صعقات سريعة وتركه يسقط ملتقطا أنفاسه بصعوبة بالغة، صرخ رامي وتحرك بقامته القصيرة لكن السلسلة

الحديدية جذبته، فقال بصوت مبحوح:

-أرجوك، أنا مستعد أتصور وهقول كل حاجة، أرجوك اديني فرصة.

-حابب أسمع منك كل حاجة بس ثانية واحدة.

خرج مخيون وجلب كاميرا تصوير، ووضعها أمام وجهه ثم أشار له بالكلام، فقال رامي:

-أنا كان عندي موتوسيكل صغير بحب أركبه.

*****

في أحد الطرق الخالية القريبة من الصحراء وقفت السيارة السوداء، وترجل منها راغب بعد أن تحرك بجذعه للأمام. سار بعض الخطوات القليلة وسحب رجل منه الكمامة ضرب النور عينيه فخلع نظارته الطبية، وحاول طمأنة نفسه من السيناريوهات العديدة التي عصفت بباله، وأطالت من أديم ليله. رنا بنظره في أكثر من اتجاه فرأى العديد من السيارات والرجال الذين تتعلق بسواعدهم أسلحة باستطاعتها إقامة حرب عالمية ثالثة، قطع حبل أفكاره صوت باب سيارة يفتح وأقدام تحتك بالأرض، فالتفت ووجد رجلًا طويل القامة يرتدي بذلة سوداء، ويظهر على بدنه الساعات الطويلة التي قضاها في ممارسة الرياضة، تبسم فبانت أسنانه بيضاء ناصعة، وقال وهو يمد ساعده الأيمن ليد راغب:

-نورت.

رفع راغب معطفه الأزرق، وأخرج علبة صغيرة حشرها بين بدنه وملابسه

وقدمها لمن يقبع أمامه، التقطها منه بلذة وفتحها فظهر الماس يلمع حينما يحتك به ضوء القمر، وسأله:

-أنت عارف تمن الماس ده كام؟

-مش عايز أعرف، وأرجوك رجعني تاني لبيتي وسيبوني في حالي.

زادت ضربات قلب راغب حينما لمح تركيز شديد في عيني الرجل، وقال الآخر وهو يشير ناحية الماس:

-إيه ده؟

-معرفش، ده اللي لاقيته جوه جثة قمر.

-أكيد؟

اهتز داخليًا لكنه تماسك وأجاب:

-آه، ممكن أمشي بقى؟

ظهر شبح ابتسامة على وجه الرجل وقال بحزم:

-تمشي تروح فين؟ أنا كنت هسيبك تمشي، بس أنت طلعت غبي.

عبث في الماس بيديه، وأردف:

-ده مش الماس الحقيقي، ده زجاج متصنع بره، وبيتباع في محلات الدهب والفضة، أنت غبي، والأغبياء ميستحقوش يعيشوا.

التقط مسدس من أحد رجاله ووضعه في رأسه، أغمض راغب عينيه وانتظر الطلقات التي سترسله للسماء في شجاعة، وهو يعلم جيدًا أن

كمال سيوصل الماس الحقيقي لذي الصوت الهادئ حتى يحرر والدته وخالته.

*****

-وفي مرة كنت متعصب من مرات بابا، فنزلت وركبت الموتوسيكل ومشيت بسرعة كبيرة، وبالغلط خبطت (قمر)، كانت بتعدي من قدامي، وبتجري وبتعيط ومش شايفة حواليها، بس بابا تكفل بكل حاجة، وصرف عليها، ومسبهاش لحد ما بقت كويسة، ده ذنبي الوحيد، أرجوك أنا معملتش حاجة تاني، والحادثة دي مش قصدي.

أنهى رامي كلماته، فالتفت مخيون ورنا بنظره ناحيته، فاقشعر الآخر فور أن لمح بوجهه شبح ابتسامة، وقال ذو الجثة الضخمة:

-وإيه تاني؟

-والله العظيم ما في تاني.

-طب ومرات أبوك؟

جلس رامي ووضع رأسه بين فخذيه، وعلامات الخزي تتسلل منه، وتحدث وهو يرتعش:

-كنت السبب في موتها لما حكيت لبابا اللي سمعته، بس أنا مقولتش غير الحقيقة والله، هي فعلًا كانت بتكلم حد غريب بيطلب منها فلوس كل فترة.

-بس كده؟

أدرك رامي أنه بين فكي الأسد فحاول التملص:

-أه.

-مش دي الحقيقة اللي قولته نص الحقيقة، حتى اللي قولته لأبوك نص الحقيقة خاصة لأنك عرفت إن اللي كلمته ده يبقى أخوها، وكان خارج من السجن وبيهددها بأنه عايز فلوس وإلا هيفضحها، بس أنت مقولتش ده، مش عايزك تتفاجئ يا ابن الأفاعي، لأني تواصلت مع أخوها لما كان معايا في الحبس، وطلبت منه يبتزها، ووعدته بمُقابل كبير، ووقتها كنت متأكد كويس من ردة فعلك اللي عملتها، علشان عيوني اللي في كل مكان بعتولي تقارير كتيرة عن علاقتك بمرات أبوك.

دخل مخيون بعدما أنهى كلماته في وصلة طويلة من الضحك، وتبعها بوابل من السباب لمن بالغرفة، ثم ضرب الحائط بساعديه وهو يلعن الحياة بما فيها، فاضطرم القلق داخل أفئدتهم. أرجع حسن لسلسلته ومضى للخارج وقبل أن يوصد الباب، أخرج مسدسه المتعالي بكاتم للصوت، وأطلق في رأس رامي رصاصة أراحته من العذاب والخوف، فتفجرت الدماء حوله وتطايرت على هيام التي شرعت في البكاء بصمت، وفُزع حسن وراح يحرك يديه أمامه في جميع الاتجاهات، وأردف مخيون بثبات وهو يغلق الكاميرا:

-دوره انتهى، ودوركم قريب إلا لو فكرتوا في الكاميرا.

*****

تسمر راغب في وضعيته والمسدس بجمجمته ينتظر مصيره، وبدون مقدمات طويلة خرجت طلقة تعرف طريقها جيدًا ناحية جسد من يمسك بالمسدس، ففتح راغب عينيه ليجد من أمامه غارقًا في الدماء

وعلامات الخوف تسطر وجهه، واسترق النظر حوله فوجد رجالًا ببذلات سوداء يقتحمون المكان ويوجهون أسلحتهم ناحية أفراد العصابة الأخرى، فتراجع راغب للخلف وسحبه رجل ضخم الجثة لسيارة، ثم مضى بعيدًا عن موقع اشتباك العصابتين، وتركه بالسيارة وأغلق عليه من الخارج، فنظر راغب من زجاج السيارة، وتأمل المشهد المتماثل أمامه من بعيد، حيث فتحت العصابة التي اقتحمت المكان فجأة وابلًا من الرصاص ناحية الآخرين فقضت عليهم بلحظات، وفيما بعد قاموا بصنع حفرة كبيرة ووضعوا أجساد أعدائهم فيها وهم يتحدثون بلغة غريبة، وعاد بعدها نفس الرجل للسيارة وذهب مبتعدًا عن موقع الحادثة.

وصل راغب بعد مسافة من الوقت لموقع مجهول في الصحراء، ونزل من السيارة وسار خلف الرجل ضخم الجثة فغاصت قدمه في الرمال التي ازدان بها المكان، حتى وصل لمبنى كبير يحيطه من الخارج سور مرتفع وفي آخره أسلاك شائكة قادرة على تقطيع ألف جسد في وقت واحد. السماء أمطرت، وزاد الصقيع فأغلق راغب المعطف. وصل الرجل لبوابة الدخول فوضع رأسه أمام شاشة إليكترونية، فخرج منها ضوء ناحية عينه اليمنى وفتحت بعدها البوابات حيث أصدرت صوتًا قويًا، كَتَب ذلك الضخم وخلفه راغب يسترق النظر لما تقع عليه عيناه، فكان المبنى من الداخل مملوءًا بالحراسة وبرجال ضخام يرتدون أقنعة على وجوههم، ويمسكون بأسلحة متطورة للغاية. تسلم راغب رجل آخر متوسط القامة والعضلات تغزوه من كل جانب، ومضى معه حتى دلفا الاثنين لساحة فناء واسعة ومنها دخلوا من باب طويل وسارا في ممر ضيق قليلًا أفضى بهم لمكتب واسع به تلفاز كبير ومدفأة تعمل عن طريق حرق الحطب،

أشار متوسط القامة لراغب بالجلوس، وخرج الرجل وأوصد خلفه الباب، وظل راغب ينتظر ويفكر في مصيره، ومصير والدته، وخالته، وكمال وزوجته، وحبيبته التي تمتلئ أحشائها بزريعته مجهولة الجنس، وعمله الذي ضحى من أجله كثيرًا، وحلمه بامتلاك مستشفى خاصة، وبعض الأماني الأخرى حيث خط لها القدر نهايات مفتوحة أو غير متوقعة. ظل يفكر ويتحرى بباله، وكلما مر الوقت كمنت الحقيقة. حاربه النوم خلال رحلته التي رست سفنها فوق شواطئ تغزوها النيران، وتتغير بها الأحلام ويصبح من فيها ساكن من سكان الجحيم الأسود، فأغلق عينيه دون إرادته، وسبح في الظلام الداكن مصحوبًا ببعض التلاوات الخاصة بوالدته حيث كانت تلقيها عليه ليهدأ. استيقظ إثر نبرة صوت يعرفها داعبت أذنه بترديد اسمه، أفاق ورنا بنظره فوجد رجلًا يرتدي بذلة سوداء وشعره أسود، وبشرته بيضاء، سأله:

-أنا فين؟

-أنت في أمان يا راغب، متقلقش.

-صوتك مش غريب، أنت اللي كنت بتكلمني وعايز الماس صح؟

-حقيقي، وبعتذرلك عن كل اللغبطة اللي حصلت، بس اللي غلطوا خدوا جزائهم خلاص.

قام صاحب الصوت الهادئ وسار بهدوء ناحية ثلاجة صغيرة بيضاء، والتقط منها زجاجة عصير وناولها لراغب، وبلا إرادة أخذها وتجرع ما بها في رشفة واحدة، وحدثه صاحب الصوت الهادئ:

-بالهناء والشفاء.

-فين أمي وخالتي؟

قالها راغب بعيون تجاهد النوم، فرد الآخر:

-موجودين هنا وهتروح معاهم، بس لأمانك الزيادة ياريت مترجعش على بيتك، لازم تبعد شوية عن الصورة اليومين دول، لحد ما ننهي على العصابة اللي حاولت تأذيك النهاردة، بس الأهم دلوقتي فين الماس؟

-مع كمال ممكن أكلمه ويجيلي هنا؟

-لا متقلقش إحنا هنتصرف، وبمجرد ما نستلم الماس، تقدر تروح أنت ووالدتك وخالتك.

ضيق راغب عينيه وسأله:

- أنا مش فاهم يعني دلوقتي إنتوا عصابة واللي كانوا خاطفني دول عصابة تانيه علشان خاطر الماس اللي بتتسابقوا عليه؟

تجهم وجه الرجل وأردف بثقة:

-كلامك مظبوط بس فيه غلط كبير إحنا مش عصابة، إحنا كيان كبير من قديم الأزل، قادر إنه يعمل أي شيء في أي مكان بدون حساب أو خوف.

قام من جلسته بعدما أنهى كلماته وفتح باب المكتب وأشار لراغب بأن يتبعه، فمضى خلفه في الممر الضيق متمنيًا أن يلتقي بوالدته، وحينما أنهى الممر دلف لغرفة ذات باب كبير، فتح الرجل بابها وأدخل راغب ثم أغلق خلفه، في الداخل صرخت والدته وخالته حينما شاهدتاه يقف أمامهما في ذهول وعدم تصديق فاحتضنته أمه وبكت بشدة.

*****

ظلت جثة رامي على الأرض تحيط بها الدماء المتجمدة، وأعيد حسين المحمدي للغرفة مرة أخرى بعدما بُترت قدمه التي التهمت أغلبها سمكة (البيرانا)، وربطه أحد رجال مخيون في السلسلة الحديدية، رنت هيام نحوه بنظرها فرأت قدمه يحيط بها الشاش والقطن والقليل من الدماء تزينها، أغلقت جوهرتيها وامتطت سفينة فضاء صغيرة تتسع لها فقط، مرت بهذه السفينة قبل انطلاقها للفضاء بمنزلها الذي فقد بريقه وداهمهُ الحزن بسبب بكاء زوجها وابنها على فقدانها، حاولت دفع باب السفينة والخروج منها لاحتضانهما لكن الباب أبى تنفيذ رغبتها، فأسرعت مُبتعدة ووجهها يغلفه الضجر. مرت أمام مكان عملها المحبب ونظرت مَليًا نحو مكتبها فوجدت امرأة أخرى غيرها تجلس عليه، وترتدي نفس ملابسها، وتنشغل بحديث طويل عبر الهاتف، تحركت قليلًا للأمام فوجدت أغراضها ملقاه في أحد الأدراج، وأدركت بحق أن العمل تخلى عن خدماتها. مضت بالسفينة فوق المنازل وصولًا لسحب السماء البيضاء، تخبطت ثم تركت لهم الضجر، والألم، واستكانتها في التعامل مع مخيون، وسبحت في الفضاء المظلم ذي الهدوء الجسيم والمساحات الشاسعة تبحث عن ملجأها الذي يقيها من الإرهاق، لكنها اصطدمت في النهاية بصوت باب الغرفة الحديدي وهو يفتح وتدلف منه أقدام تعرف صوت حركتها.

وقف مخيون أمامها مباشرة حررها من السلسلة وأقامها بقوة تلاعبت ملامحها به، فضمها نحو صَدره واستنشق رائحة شعرها الكستنائي، أقشعر جسدها وأضمرت تقززها تراجعت خطوات بطيئة للوراء، فجذبها بعُنف وشرع في ملامسة أجزاء منها بكت وصرخت وضربته، صفعها فازدانت وجنتيها باللون الأحمر. اقترب من أذنها وأردف:

-أصور وتعترفي؟

أبت، فاغتاظ وقطب حاجبيه في ضيق، وصرخ في أذنها:

-فين الصندوق؟ مش هسيبكم، يا تعترفوا بأفعالكم يا تقولولي الصندوق فين؟

ضربها بقدمه اليمنى، فسقطت وتألمت بشدة، اقترب منها وقال:

-فاكرة عملتي إيه مع (قمر)؟

زاد بكائها بغير دموع، وردت:

-أه.

-أحكي، وأوعدك هريحك، وهخرجك أول واحدة.

وضع أمامها الكاميرا وبدأ في تسجيل ما ستقوله من خلال الفيديو أزالت خصلات شعرها عن وجهها فظهر مليء بالخدوش ويزدان بالاتساخ، صمتت قليلًا كأنها تُراجع شريط أفعالها، وقالت بصوت متهدج:

-أنا اتسببت في طرد (قمر) بنتك من الشركة، مستحملتش وجودها، بدأت تاخد حيز أكبر مني، كانت لبقة، واجتماعية، وملامحها هادية بتجذب أي راجل، حَسيت إن مَركزي بيتهز، كان لازم أتصرف.

*****

مَر ردح من الوقت بعدما تقابل راغب بوالدته وخالته تحدثوا فيه الثلاثة عن الأيام التي فصلتهم عن بعضهم البعض، وظلت والدة راغب تبكي وهي نائمة على قدم ابنها، حاول تهدئتها مرات عَديدة لكنه فشل. كانت

تبكي لفرحتها بلقاء ابنها وخوفها بنفس اللحظة من المجهول في الفترة القادمة، ولاشتياقها لرؤية زوجها. وحدثت راغب قائلة:

-أنا كنت هموت من غيرك.

قبَّل جبينها، وربت فوق شعرها، لتهدئتها، فاسترسلت:

-خالتك حاولت تنسيني وتطمني عليك كتير، كنت بشوفك قدامي كل يوم بليل في الميعاد اللي بترجع فيه من الشغل، بشوفك وأنت مجهد وتعبان، وأنت خايف من الجثث بعض الأوقات، وأنت بتديني هدومك ومكسوف إنها متوسخة وأنا هتعب في غسيلها.

-صدقيني يا ماما كنتي دايمًا في بالي، وبعادك وصلني لمرحلة صعبة أوي.

-وحشتني، ووحشني صوتك، وحبك للسبانخ، والحلل والأطباق بتاعتي، والطبيخ، والمطبخ بحاجتي اللي فيه، والشَقة اللي عيشنا فيها لحظات كتير من حياتنا.

ندت منه دمعات صغيرة سارت فوق وجنتيه حيث أبت عيناه حرمانه منها، وترقرق قلبه بالفرح، وأردفت أمه:

-ربنا يخليك ليا، وميحرمنيش منك أبدًا.

-ويخليكي ليا يا أمي، وإن شاء الله هنرجع بيتنا، وكل حاجة هترجع طبيعية من تاني، وكمان في خبر كويس أوي ليه علاقة بجوازي، هقولك عليها لما نخرج.

تهللت أساريرها بالفرح، وتبسم وجهها فاتسع حجمه، وتدخلت خالته

قائلة:

-ربنا يكرمك يا حبيبي، ويجمعك باختي على خير ومحبة دايمًا.

-أمين يا خالتي، حقك عليا، أنا السبب في كُل اللي حصل، بس وعد النهاردة هنكون في بيتنا، متقلقوش إحنا هنا في أمان.

قال كلماته فاطمأنت قلوبهم، لكنه كان غير مطمئن لعدم ثقته في من يتعامل معهم. قبَّل يد خالته وأعاد عليها اعتذاره بحرج كبير.

*****

-طلبت من قمر تروح الشركة في وقت متأخر بحجة شغل ضروري لازم يخلص، ولأنها كانت متحمسة وبتعمل اللي بيطلب منها نفذت كلامي بدون تفكير، راحت الشركة وطَلبت منها تفتح مكتب أستاذ أمجد المدير التنفيذي للشركة، وتدور في الخزنة بتاعته على ورق مهم هو مش لاقيه وخايف يكون وقع منه، وقبل ما تعمل ده بيوم إديتها المفاتيح كلها وعملت إن نسيتها معاها. (قمر) نفذت اللي طلبته منها، وكاميرات الشركة صورتها، وتاني يوم كنت مظبطة مع مسئول الكاميرات، وخليته يوقفها لمدة تلات دقائق، دخلت أنا خلالهم وأخدت من الخزنة عقد شراكة مهم مع شركة أجنبية، ووصلت العقد ده لشركة تانيه منافسة، وخسرنا بسبب الموضوع ده صفقة كبيرة.

مع ازدياد كلماتها كان يزداد غضب مخيون وهو يستمع لها، ويكاد صدره ينفجر من الغيظ والضجر، وحينما صمتت أشار لها بأن تُكمل وهو يقوم بتصويرها، فأكملت هيام:

-بعد الموقف ده أستاذ أمجد كان هيحبس (قمر)، لكنه تراجع في

اللحظات الأخيرة لما اتكلمت معاه، وطلبت منه يكتفي بأنه يمشيها ويمنعها تشتغل في أي شركة تانية، وده اللي حصل، وقتها (قمر) جاتلي وكانت بتترجاني أدافع عنها أو أشوفلها شُغل تاني لأنك كنت مسجون، وكل ممتلكاتك متحفظين عليها، وهي مش لاقية فلوس تصرف منها.

-وبعدين؟

-طردتها.

ثنى قدميه وأمسك بها بقوة جعلتها تصرخ، ونظر لها بعيونه الخضراء، ورأسه حليقة الشعر، وقال:

-كملي.

فصرخت فيه:

-أرجوك سيبني، أنا قولت كل اللي حصل، مش ده اللي أنت عايزه، خرجني من هنا بقى.

-بس إنتي معترفتيش بكل حاجة لسه.

جحظت عيونها وهي تسأله:

-يعني إيه؟

-أمال فين قصة خيانتك المتواصلة لجوزك مع أمجد الوسخ، وفين الصندوق؟

كانت فزعة العينين ومندهشة من المعلومات التي يعرفها عنها فصمتت، ووضعت رأسها بين فخذيها، أمسك بيديها وبدأ في خلع أظافرها بآلة

حادة كالملقاط كانت معه، فراحت تصرخ من الألم والدماء تتفجر مِنها.

*****

طال وقت الانتظار تجهمت الوجوه وتطاير الصبر بعيدًا، بكى الجميع بصمت بالغ الهدوء، فداهم القنوط أنفسهم، وتسألوا متى نتحرر؟ فلاحت الإجابة نحو السماء ومن ثم للفضاء، وصولًا للثقب الأسود، فراح يسحبها بسرعة ليبتلعها كالمكنسة الكهربائية حينما تجذب الأتربة. ربت راغب على أمه وشعر بدفئها، وحدثها بصوت هادئ:

-كل حاجة هتعود من جديد.

لاحظ فيما بعد توقف قفصها الصَدري عن الحركة، وضع يده اليمنى على رقبتها لثوانٍ، فوجد أن النَبض توقف أيضًا، رأته خالته فأدركت خطورة اللحظة فجرت ناحيتهما وسألته بعينيها، وهو يبحث عن النَبض في يديها، تركها وطرق الباب مستنجدًا بصوت عالٍ فانفتح الباب ووجد صاحب الصوت الهادئ، فحدثه ببكاء:

-أمي في خطر النبض بتاعها وقف، لو ملحقتهاش هتموت، لازم نوديها لأقرب مستشفى حالًا.

أخرج هاتفه وحدث شخصًا وبعد ثوانٍ جاء صاحب الصوت الهادئ ومعه طبيب خاص ودخل للغرفة، تفحص والدة راغب ونظر لصاحب الصوت الهادئ في حزن، فتيقن ومعه راغب بأن كل شيء انتهى ولن يعود من جديد مثلما وعدها. صرخ فيهما ومعه خالته وخرج من الغرفة، فأشار الآخر لرجاله جاءوا في عجالة وأدخلوهما للغرفة، وأوصدوا الباب جيدًا. جرى ناحية أمه وجذبها لصدره أغرقها بدموعه الغزيرة، وغاص في الظلمة

لطم خَديه كالنساء، حاولت خالته منعه فاصطدمت به ورفض التوقف. دارت بباله مشاهد قديمة التقطت باحترافية تجمعه بوالدته منذ صغره في المرحلة الابتدائية حينما ذهب للمدرسة لأول مَرة في حياته، فكان فرحًا ومُقبلًا عليها ويحتضن أمه من رقبتها، فكادت تسقُط أثناء التقاط الصورة، وفي عُجالة مر سَريعًا بصور تخرجه من الصف الخامس الابتدائي، حيث وقفت خَلفه تَرتدي فستان أسود يغطي قسمات جسدها الرشيقة وشعرها يتطاير فيغطي عينيها الصغيرة الهادئة. استمرت ذاكرته غير الشاغرة في عرض ما يؤدي للحزن والشعور الجسيم بالفقد، فرأى والدته حينما وقفت وحيدة في عزاء والده بلا أمان منذ اثني عشر عامًا وقت تخرجه من الثانوية، والخوف يعتلي عينيها السوداء، وهي تتمنى عدم ذهابه بعيدًا لعالم الأرواح. تذكر أيضًا الأيام التي تلت هذا الحدث السيء حيث كانت تستيقظ ليلًا وتدخل في وصلة طويلة من البكاء والصراخ وتمضي وقتًا طويلًا في النداء على والده، حتى تغيرت حالتها مع مرور الأيام، وبدأت فرحتها في العودة لها مَرة أخرى وقت التحاقه بكلية الطب حيث حقق حلمهما، فكانت تهتم به في أوقات استذكاره، وكثيرًا غلبها النُعاس ونامت على الأريكة الموازية لغرفة مذاكرته، وزادت فرحتها أكثر وقت تخرجه وعمله بالمشرحة وحصوله على أول راتب في حياته ورغم صغره وقلة قيمته طارت به حتى وصلت حد السماء.

أوقف عَقله عن استرجاع الذكريات واللقطات الساحرة التي تتحول مع الوقت للقطات سخيفة ومؤلمة، وأصبح التجهم والضجر أكثر أصدقائه تقرُبًا منه الآن. ودخلت الذكريات لحيز جديد وهو اللعب دون قواعد فاستمرت باسترجاع مشاهده مع والدته وهي تضع له الطعام على

المائدة وتطهي السبانخ التي يحبها، فزاد بكاءه وأخذ يصرخ ويلطم خديه ويضرب نفسه، جذبته خالته لصدرها ليكف عما يفعله فدفعها للخَلف، ومضى يحطم كل شيء حوله في الغرفة، كأنه يحاول التخلص من عجلة الذكريات اللعينة.

*****

أخذ رجب التُربي يزرع المكان إيابًا وذهابًا في طريق المقابر وبدنه يرتعد من الهواء البارد وعلى وجهه ينغمس الوجوم، يفكر في حل يقيه من عذاب كاد يقتله آخر مَرة، لولا تدخل الشاب بائع البطاطا الذي يقف بجوار بوابة دخول المقابر الرئيسية، وحينما سمع صرخاته أمسك بعصا خشبية وذهب له مسرعًا. رنا رجب بنظره ناحية شواهد القبور يتخيل نفسه ينحشر معهم وهو مازال على قيد الحياة، «اللعنة على الجُثة غَريبة الأطوار» قالها في باله، ومضى بذكائه الضئيل يبحث عن طريقة مناسبة تخلصه من الجثة الشيطانية، حتى أحاط به القنوط الشديد، فقد حاول مرات كثيرة أتى بمعالجين روحانيين وتلاهم بدجالين فساءت الأحوال وتجمدت الراحة. تبقى حل وحيد لم يُرد أن يركن إليه أبدًا لكنه آخر فرصة أمامه، دلف بقامته القصيرة و(كرشه) الصغير في الممر الضيق ومن ثم لغرفته التي شهدت أحداثًا جسيمة من الهلع، فتح بابها واسترق النظر في أركانها قبل دخوله، فطمأنت نفسه حيث لم يجد شيئًا غَريبًا، ومضى يدور برأسه حتى استقر على ورقة صفراء باهتة وطويلة فأخذها، والتقط من خلف باب الغرفة الخشبي الذي قارب على الوفاة فأس حفر كبيرة، وشرع ناحية المقابر. انتظر لردح من الوقت حتى سافر النهار وفرض الليل سطوته بجمال قمره الذي أحاطته الغيوم. سار

برائحته الكريهة المتكونة من اختلاط عرقه برائحة السجائر الزهيدة التي يدخنها بشراهة، ووقف أمام قبر (قمر) ألقى بالفأس وأخرج ورقة صفراء طويلة من جيبه وشرع في قراءتها، تبدل المكان من حوله ووجد ذاته في مشرحة طبية بها أعداد غفيرة من الجثث المَرصوصة بدقة بَرزت واحدة منهم واتجهت ناحيته كانت طويلة ذات قسمات متناسقة وعارية بلا ملابس، وصاحبة شعر كستنائي طويل يغطي عيونها الخضراء، تبينها رجب وعلم أنها جثة (قمر) سألها في عقله «ماذا تُريدين»؟، تبسمت وأغرته بمفاتنها ثم جذبته من ذراعه، وسارت تعدو لثُقب أسود ينغمس في أحد الحوائط، حتى وصلت إليه ودلفت بداخله وأشارت لرجب بالدخول، اختلس نظرات مختلفة في زوايا المكان ومد ساقه وساعده الأيمن وهمَّ بالدخول، لكنه تراجع فجأة اغتاظت (قمر) وتجهم وجهها، وتحول خضار عينيها لسواد داكن، تراجع رجب بعض الخطوات للخلف ومن ثم تبدلت المشرحة ووجد نفسه واقفًا في المقابر كما كان من قليل قبل أن يذهب في هذه الرحلة الغَريبة.

وضع الورقة الصفراء أمام مستوى نظره وقرأ كلماتها المكتوبة باللغة العربية والتي لم يفهم ما فيها وحينما فرغ منها أمسك بالفأس وشرع في تهشيم قبر (قمر) وقلبه يلتاع بما يفعله، سمع رجب طرقات متتالية على الباب الحديدي لقبر الشيطانة، لكنه كَبَّر واستأصل بالقوة التي انغرزت في أوصاله القصيرة، ومن ثم تفجر حدث كان يتوقعه انفتح الباب الحديدي للقبر وباغتته (قمر) بظهور سريع، اختفى قمر السماء خوفًا منها، وتخبطت السحب في بعضها فتفجرت منها أمطار غزيرة فوق الرؤوس، والبيوت، والطرق، وفوق رجب الذي لم يتوقف قلبه عن

الخفقان لحظة، حتى جذبته هي لداخل قبرها في نهم شيطاني برز فوق وجهها وأغلق الباب الحديدي عليهما، حاول رجب الاستنجاد أو الصراخ لكن خانته حنجرته وهربت كما فعل قمر السماء.

*****

(8)

الوقت يَمُر ببطء وراغب وخالته، وجثة والدته مازالوا باقيين في الغرفة لا صوت يعلو فوق صوت الصمت القاتل، فقد راغب بعضًا مِن قدرته على الكلام وظل ممسكًا بيد والدته وهي مغلقة العينين وجسدها بارد، حيث لن تعود الحياة وقد انقضى العمر. وسارت خالته بعينيها التي انتفخت لكثرة بُكائها في هدوء وحزن يملؤهُما الشجن. على بعد خطوات من راغب تكورت فوق طاولة خشبية أطباق مَليئة بأنواع أطعمة مختلفة، لحم، ودجاج، وأرز، لم يتذوق الاثنان شيئًا، وتقززا بمجرد النظر للطعام، فلم تنلهما الشهية لأنها ماتت لفترة. انفتح باب الغرفة ودلف منه صاحب الصوت الهادئ، وحدث راغب بتواضع:

-تقدر تمشي النهاردة يا دكتور.

رفع الآخر رأسه ناحيته لم يتبين ملامحه بدقة فارتدى نظارته الطبية، وقام بصعوبة من الأرض، وسأله:

-والماس؟

-كل حاجة انتهت خلاص.

-كمال كويس؟ سلمكم الحاجة زي مأنا اتفقت معاه؟

جذبه بلين دون الاهتمام بسؤاله، ووقف يتحدث معه بالخارج قائلًا:

-قصة الماس أنت مكنش ليك علاقة بيها، وزي ما دخلت فيها بدون

ذنب، أنت دلوقتي بعيد عنها.

أردف راغب بصوت مبحوح:

-يعني إيه؟

-يعني أنت لما هتخرج هتكون في أمان، محدش هيطاردك ولا هيدور عليك، لا المُنظمة بتاعتنا، ولا العصابة اللي خطفتك في المَرة الأولى.

بكى راغب، فقال الثاني:

-في عَربية هتخرج معاك من هنا وهتوصلك للمكان اللي تفضله.

ناوله بعض الأوراق وأكمل:

-ودي إجراءات دفن والدتك خلصنها، مش فاضل غير الدفن.

ضغط راغب على أسنانه وحاول منع غضبه وكور يديه وقبل أن يسددها في وجه صاحب الصوت الهادئ، استمع لخطوات أقدام ثقيلة ناحية اليمين، نظر واصطدمت عيناه بكمال صديقه والدماء تملأ ملابسه ويحمله اثنان من الرجال، ويتحركان به للأمام، فتساءل بغضب:

-عملتوا في كمال إيه؟ ده مكنش اتفاقنا.

-ولا كان اتفاقك معاه كمال خان العهد، ولما أنت سلمته الماس قبل ما تروح للعصابة علشان يجبهولنا ونخرج قرايبك، كلم العصابة وقالهم كل حاجة، وحدد معاهم ميعاد يديهم فيه الماس، وفي المقابل ياخد مَبلغ مالي كبير، بس لسوء حَظه تليفونه كان متراقب.

-أكيد في حاجة غلط، كمال مش ممكن يع..

-معايا التسجيلات بتاعته لو حابب تسمعها.

كانت عيون راغب متسعة بذهول وهو يستمع للحديث ويراقب الرجال وهم يدخلون جثة كمال لأحد الغرف بغير تصديق، لم يقبل عقله ما شاهده تنفس بصعوبة وطلب من صاحب الصوت الهادئ أن يساعده في دفن والدته ومن ثم يوصله للبيت، فشرع الآخر في تنفيذ طلباته.

*****

نزفت هيام من أصابعها دماءًا كثيرة بعد أن اقتلع مخيون أظافرها، وتكورت على الأرض فاقدة للوعي وشعرها يغلف وجهها وتظهر بعضًا من مفاتنها أسفل ملابسها التي نحلتها الأرض، وراحت تتعلق بين رحلة الحياة والمطاف الأخير في محطة الموت. ألقى لهم رجال مخيون بعضًا من فتات الخبز الذي تعفن سطحه وكون طبقة خضراء ذات رائحة عطنة، لم يأكلوا ليس لرداءة ما قُدم إليهم بل لخوفهم مما سيقع. وقد كان ظنهم في محله حيث انفتح الباب وكَتَب منه مخيون وهو يدفع بساعديه طاولة حديدية كبيرة وفوقها دائرة ذات مساحة كبيرة، ويتوسطها جنزير طويل وتتحرك عبر عجلات صغيرة أوقفها في منتصف الغُرفة، ونظر إليهم تحسس ذقنه وجذب ما فيها من شعيرات صغيرة سوداء اللون نبتت منذ أيام، ثم دلف ناحية حسن الكفيف وجذبه حاول الثاني الهروب من قبضته العنيفة فبان ضعفه الشاغر أمام قوة مخيون.

رفع مخيون حسن على الطاولة الخشبية، ولف الجنزير حول جذعه جيدًا فلا يمكن أن يسقط، وسأله:

-تصور فيديو وتعترف بكل اللي عملته؟ ولا تجرب حاجة مجهولة أنت

مش شايفها.

رمقه المحمدي وهو يستند بمنكبه على الحائط القابع خَلفه في صمت، وعلامات الاستكانه تداعب وجهه، وثدياه اللذان تكورا فوق معدته الكبيرة كانا يرتعشان، حرك فاه بصعوبة بالغة ليطلب الرحمة من الشيطان فخرج صوته متهدج غير واضح، التفت له مخيون بجسده الطويل ذي المنكب العريض، فصمت المُحمدي ونظر أسفل قدمه.

-اللي أعرفه إنك أعمى مش أطرش، مسمعتش أنا قولت إيه؟

قالها مخيون باستهزاء صارخ فلم يجبه حسن الذي فضحته عيناه وبكت، فهز الآخر رأسه بتلذذ وألقى على جسد حسن دلو مياه كبير فأغرقه، وضغط على زِر في الطاولة فتحركت الدائرة الكبيرة بسرعة وراحت تدور دون توقف، تماسك حسن للحظات وتعالت صرخاته بعد وقت قليل، فأخرج مخيون من جيبه صاعق كهربائي، وشرع يصعق حسن في مناطق مُختلفة بعدها ضغط على الزِر فوقفت الدائرة عن الالتفاف، وأفرغ حسن ما في معدته على الأرض، وقال بصوت متهدج:

-صورني وخلصني.

وضع أمامه الكاميرا وضغط على زر التسجيل، فالتقط حسن أنفاسهُ بصعوبة، وهدأ قليلًا حتى انتظمت دقات قَلبه، وقال:

-أنت عارف إني ساكن قريب من بيتكم لما اتقبض عَليك، مستنتش وقولت لازم أساعد (قمر) علشان متبقاش وحدها.

صعقه مخيون وهو يقول بصوت مُرتفع:

-لو جملت في كلامك تاني هدبحك، أحكي ومتخفيش الحقيقة.

هز رأسه في استكانة وخوف، وأكمل:

-جبت رقمها وكلمتها وهي في الوقت ده مكنش معاها فلوس، لأن الشُرطة تحفظت على فلوسك كلها في البنوك، وقَربت مِنها أوي، كانت بتحكيلي كل حاجة، بتكلمني ليل نهار، بعتلها فلوس أكتر من مَرة، وقولتلها أنا عايش بَره، ومعرفتهاش إن كفيف، فرحت، وكانت بتعاملني كأني كُل حاجة بتسبالها، مع الوقت زهقت منها، وأهملتها، علشان بطبيعتي مبطولش في علاقة مع واحدة.

صفعه مخيون بقوة، وأشار له بأن يكمل، فقال وهو يبكي:

-بعدت عنها، ومبَقتش بكلمها، كانت بتتصل بيا طول اليوم مكنتش برد، وبعد يومين عرفت إنها مشيت في الشارع مُنهارة وبتعيط، ورامي خبطها بالموتوسيكل بتاعه، قلقت عَليها لأول مَرة في حياتي، بس خوفت أكلمها، ومن خلال كام واحد مشغلهم معايا ينقلولي الأخبار عرفت إن (فرادس) أبو رامي تكفل بمصاريفها، وكمان جبلها وظيفة في شركة دعايا وإعلان كبيرة واللي ساعدها في ده كليتها، واللغات اللي كانت معاها.

اغرورقت عين مخيون وهو يقول:

-عمري ما بخلت عَليها بحاجة، ولا عمري كسَرت قَلبها، علشان أنت تيجي في لحظة كَسر وضعف وتستغلها.

لاذ حسن برأسه بعيدًا فتأمل مخيون قسماته ولونه الداكن وبدنه النحيف، وأطلق في جبينه رصاصتين. فُجع حسين المُحمدي وصرخ فيه،

فضربه الآخر على وجهه ليصمت، وطلب من رجاله نقل جثة حسن إلى الثلاجة التي وضعت فيها جثة رامي، وأخبرهم بتنفيذ آخر أجزاء الخطة سريعًا دون وقوع خطأ.

*****

في منزله جلس على أريكته بملابسه المليئة بتُراب المقابر بعدما دفن والدته، وشرع يُفكر مَليًا بجميع الأحداث التي وقعت له في وقت قليل، امتلأ قَلبه بأشواك راحت تنغمس فيه ثم لاحت أمامه صورة كمال صديقه، ووالدته، وحبيبته التي وعدها بالزواج ولا يعلم عنها شيئًا حتى الآن. أنكر عقله خيانة كمال له، كما أنكر حقيقة وفاة والدته، وظل ينظر ناحية المَطبخ مُنتظرًا خروجها عليه وفي يدها السبانخ المليئة باللحم الأحمر. بكى ولم يستطيع إيقاف عقله من استرجاع الأيام السابقة، ضَرب صَدره ووجهه وتنادى باسم والدته وكمال لعلهما يرجعان، ويجد نفسه في حلم لعين. نام من الإرهاق وتصارع في أحلامه مع قوى الشر فانتصرت عَليه وانغمس وحده في ساحة القتال معها، وتلاقى مع شخصيات غفيرة فقدها بمرور الأيام، أصدقاؤه منذ الطفولة، وأصدقاؤه بالعمل، وأقاربه، وحبيبته، ووالده، ووالدته، وكمال وزوجته، حاول احتضانهم ففشل، ولاذوا هم بعيدًا عنه ناحية عنان السماء، فاستيقظ مفزوعًا، كانت عيناه غائمة تحسسها حتى اتضحت الرؤية ولمح شيئًا غَريبًا عند عقب باب المَنزل، سار ناحيته وأمسك به فوجده جواب فتحه والإثارة تتعالى فيه وعلم أنه من كمال صديقه، تهللت أساريره قليلاً، وقرأ ما فيه فجحظت عيناه تدريجيًا.

*****

في منطقة العتبة وقف (فهمي الطرابُلسي) يدخن بشراهة أحد أنواع السجائر الرديئة وهو يرتب أثاث مَكتبته، وشرع يضع دُفعة الكتب الجديدة التي جاءته في أماكنها المخصصة، كان ينفرد بكل كتاب وحده ثم يزيل عنه التُراب ويقرأ عنوانه فيعلم في أي صَف سيضعه، حيث تعددت الصفوف كالعلوم، والطب، والهندسة، والتاريخ وغيرهم. ولاحظ فهمي أنهذه الدفعة تميزت عن غيرها من السابقات بأنها مليئة بكُتب تاريخية مُختلفة في أزمنة متعددة، فاتجه ناحية صَف الأعمال التاريخية وراح يضع فيه الكتب بنهم نظرًا لارتفاع ثمن بيعهم عن الأنواع الأخرى.

أنهى سيجارته وألقى ببقاياها في سَلة القُمامة وراح يحسب ما سيتحصل عليه من أموال في باله بعد بيع هذه الكتب التُراثية الثَمينة، وأيقن أنه يَقترب بشدة من فتح الفرع الرابع لمَكتبته قَريبًا، بعد عناء وشقاء تخَللهما الأرق والإرهاق اللذان داما طويلًا. فيما بَعد حينما تخَطت الساعة الواحدة ليلًا راح للحمام واغتسل جيدًا ثم بدل ملابسه، وانصرف وهو تتعَلق بفمه سيجارة طَويلة بيضاء اللون كَريهة الرائحة، وأوصد خَلفه باب المَكتبة وانطلق سَريعًا ناحية سيارته.

*****

كَتَب مخيون من باب الغرفة وجسده يَهتز بقوة لفرط غضبه الممزوج بالضجر حتى وقف أمام حسين المُحمدي وهيام التي بدأت تَفيق قليلًا من سباتها، وجه الشيطان نظراته لهما وقال حتى اهتزت الأركان وهو يصورهما بالكاميرا:

-أنا زهقت، وقَلبي بقى مليان غضب أكتر من أي وقت، محدش فيكم

هيخرج من هنا إلا لما يقولي فين الصَندوق.

ردت هيام بصوت متهدج وجسد أعياه التعذيب، وملابس مُتقطعة:

-أنا معرفش حاجة عَنه، المُحمدي هو اللي خباه بعد ما اتقبض عَليك.

-وأنا مصدقك يا هيام، علشان كده دورك انتهى معايا.

جحظت عيناها ورفعت ساعداها تترجاه، لكنه باغتها بخَنجر ألقاه من بعيد فاصطدم بصدرها وثقب قلبها، تفجرت مِنها الدماء وكونت أسفلها دائرة غير مستوية.

-فين الصَندوق يا مُحمدي؟

قالها مخيون بصوت جسيم، فرد الثاني:

-أنا معرفش أنت بتتكَلم عَن إيه؟

-عن الصندوق اللي كان فيه تمثال فرعوني صغير بـ5 مليون دولار، وأنت أخدته قَبل ما الشُرطة تجيلي البيت، افتكرته؟

زاغ المُحمدي بعيناه بعيدًا، فأردف مخيون:

-أفكرك أكتر، طلبتني أجيلك في شَقتك اللي فوق شَقتي بحجة إنك عايزني أشاركك في أملاكك ونتاجر بيها، وشَربتني ساعتها قهوة، بَعدها نزلت وسيبتك وروحت في نوم طويل، كُنت أنت بحكم شياطينك نزلت وفتَحت الجنينة بتاعت العمارة وأخدت التمثال وأنت عارف كويس إني كنت مخَبيه فيها، وعلشان أبعد عَني الشُبهات ومَلفتش النَظر موقفتش حَد من رجالتي يحميه، وأجلت ميعاد تَسليمُه، علشان في الآخر سيادتك تاخده بكل أريحية.

تبسم المُحمدي لهُ وقال:

-قول مهما تقول، ملكش حاجة عندي، ولو على موتي فأنا مش خايف لأني حتى ولو قولتلك التمثال فين فهموت برضة لأنك غدار.

-أنت من أحقر الشخصيات اللي عرفتها في حياتي، بلغت عني رغم إن مأذتكش ولا جيت جنبك وسجنتني بكمية المخدرات الكبيرة اللي الشُرطة لاقيتها في شَقتي وأنا نايم زي المُغفلين، وفي نَفس الوقت أخدت التمثال بتاعي، وبَعد كُل ده ضَربت ورق بتاريخ قَديم بيثبت إنك مالك لشقتي اللي اشتريتها منك من عشر سنين، وطَردت (قمر) بنتي في الشارع.

قاطعهُ حسين بصوت عالٍ:

-ولو الموقف ده اتكرر تاني هحبسك ميت مَرة.

-ليه أنا عملتلك إيه؟

تبسم بسُخرية وأردف:

-قفلت عَليا السوق بالتمثال اللي أنت جبته من المُنظمة الأجنبية، وأنت كُنت عارف كويس أوي إن سوق تجارة الآثار بتاعي لوحدي في مصر، كان لازم انتقم منك، وأرجع حَقي.

مسحَ مخيون جبينه بمنديل وأغلق عينيه ذات اللون الأخضر لثوانٍ، وقال:

-لو قتلتك دلوقتي أنا اللي هكون خسران، علشان كده أنت هتزعل يا مُحمدي، وهتزعل بالقوي.

أغلق مخيون الفيديو الذي صوره وخَرج مِن الغرفة، وعاد وهو يجذب في يَديه شعر فتاة في بداية الثلاثينات، وحينما شاهدهُ حسين المحمدي، انفطر قَلبهُ، وصرخ حتى كادت حنجرته تنفجر:

-لا كله إلا ولادي يا مخيون، سيبها، سيبها هي ملهاش ذنب.

-وبنتي قمر مكنش ليها ذنب، لما أنت طردتها في الشارع، واتفقت مع هيام تطردها، وحسن يلعب بقلبها، آه مأنا نسيت أقولك إن رجالتي بعد ما أنا اتحَبَست كانوا مراقبينك أنت والكلاب التانين وعرفوا كُل حاجة.

بكى المحمدي على ابنته التي كانت خائفة بشدة، وقال:

-التمثال في التجمع الخامس عَند المَنطقة اللي أنت كنت بتخبي فيها البضاعة زمان، روح وهتلاقيه، بس أرجوك سيب بنتي.

تبسم مخيون، وصفع الفتاة مرات عديدة حتى احمرت وجنتاها، ودفعها في ظهرها فسقطت على والدها، وخَرج مخيون وأوصد خَلفه الباب، ثم أمر رجاله بالذهاب للمَنطقة التي خبأ فيها حسين التمثال، والتي تبعد عنهم مسافة نصف ساعة.

*****

دخل راغب في سبات بعينيه وهو مازال مُمسكًا بالجواب الذي كتبه كمال له، حيث كتب فيه:

راغب في حاجة غلط بتحصل أنا مش قادر أفهمها.

أنا خليت مراتي تسافر لأهلها في كندا، لأني مبقتش مطمن.

العصابتين بيلعبوا بيا وبيك، وفي الأغلب ممكن يخلصوا عليك

وعلى والدتك وخالتك، أنا مش قادر أشرحلك أكتر من كده.

ومش هينفع أقولك أنا هعمل إيه معاهم.

بس عايزك تكون مُتأكد إن لا يُمكن أخونك أو أبيعك

لأن حاسس إن بعد ما أسلمهم الحاجة ؛

هيضربونا في بعضّ يا راغب. مش عارف لما هتقرا كلامي

هكون أنا فين وأنت فين؟ بس أتمنى نتقابل على خير

كمال الجندي.

تهللت أسارير راغب بالقليل من الفرحة التي لا تأتي كاملة أبدًا، حيث تحمل هذه الفرحة جانبين الأول جيد والثاني سيء. تشتت عقله وتخلخلت قوته البدنية فسقط على الأرض، واحتلت أنفه رائحة دماء من أحبهم وهلكوا بسببه، وفي مُقدمتهم دماء والدته وكمال. أدار وجهه محاولًا القيام فتهشمت نظارته الطبية وكادت تفقأ عينيه اليمنى؛ فرفع جبينه قليلًا، لم يقدر على المقاومة أكثر من ذلك ولم يقدر على القيام ففقد وعيه

*****

(9)

فتح مخيون باب صغير في منتصف الباب الحديدي الكبير ثم رنا بنظره فتأمل جثة هيام التي لم يضعها في ثلاجة الموتى بَعد، وشرع بكلماته جسيمة الخطورة ناحية حسين المُحمدي الذي احتضن ابنته حتى نامت في صدره من الخوف، وقال:

-الرجالة لاقت التمثال، ودورك انتهى أنت كمان معانا.

ضيق المُحمدي عينيه، وتساءل بقلق:

-يعني إيه؟ خَرج بنتي واعمل اللي عايزه معايا.

وبعدما فرغ من كلماته بكى، فرماه مخيون بقامته الضخمة:

-مش هينفع، حقيقي مش هينفع، كل حاجة بحساب وأوان، وأنت معملتش حساباتك كويس قبل ما تعمل ضدي كل خطواتك اللي فاتت. عايز حاجة قبل ما أسافر؟

رد المُحمدي وهو مقطب حاجبيه ومتجهم الوجه:

-أنا عارف إنك قذر ومبتسامحش، بس بترجاك للمَرة الأخيرة خَرج بنتي ملهاش ذنب.

-زيها زي (قمر) اللي بعد ما قفلت في وشها كل البيبان، ومع أول عَرض جالها من العصابة الأجنبية وافقت علشان متنامش على الرصيف،

ومتموتش من الجوع بعد دخولي السجن، وعلشان تهرب من الفضيحة اللي عملتهالها هيام، وقلبها اللي اضرب بالنار من حسن، ورجلها اللي عِجزت بسبب الكلب الصُغير رامي، محدش فيكم رحمني ولا رحمها.

-هعوضك عَن كُل حاجة، أملاكي هتكون تَحت رج...

قطعه مخيون بصوت مُرتفع:

-كُل شيء تحت السما له نهاية.

-خَرج بنتي يا مخيون.

-يومين بالكتير وهتموت أنت وهي من الجوع، ساعتها بس رجالتي هيخرجوكم من الغرفة.

أشار له بيده محييًا إياه، ثم أردف مُبتسمًا:

-أنا أديت رسالتي سلام يا مُحمدي.

أغلق الباب الصغير فأظلمت الغُرفة، وردد مخيون بباله «اللعنة على أفواه الشياطين وأفعالهم»، وسُدت أذنه عن سماع صراخات حسين المحمدي وهو يستنجد بالأرض، والحوائط، والأرواح، والعوالم الأخرى، وقوة الرب الذي خَلقه ليُخرج ابنته من هذا الجحيم.

سار الآخر والحزن يجتاحه وبدنه يبتعد عن الغضب، وقد تبخرت قواه العقلية والجسدية، ورأى أمامهُ (قمر) وهي صغيرة وترتدي فُستانًا أزرق اللون ويتدلى مِن وجهها الحُب، فمد ساعديه لتقترب مِنه، فابتعدت وسارت ناحية الغُرفة ثم كمنت بداخلها. تدلت دمعة منْ عينهُ، ومضى إلى ساحة المكان المغلقة، وأمر رجاله بتجهيز سيارة بها صندوق خشبي

وسائق، وأعلمهم بوجهته الأخيرة، حيث منهم من سيغادر معه خارج البلاد على سطح سفينة صيد كبيرة إلى أحد الدول الأوروبية، ومنهم من سينتظر هنا وينهي آخر خيوط لعبته. كانوا يقفون حوله في شكل دائرة بأجساد ضخمة وجواهرهم متسعة، وأفواههم مفتوحة،

ينتظرون مكافئتهم الجسيمة التي إن لم يحصلوا عَليها لابتلعوا مخيون بعظامه حَيًا، وهو كان يعلم جيدًا رغم قوته وتأثيره الشديد عَليهم أن المال يُحركهم، وقادر على بعثهم لحافة الموت إن عَلموا أن بها كنزًا ثمينًا، فألقى لهُم بمكان المال الخاص بهم، فتبسموا واختفى التجُهم الذي عصفَ وجوههم وارتاحت أساريرهم.

*****

مضى راغب في منزله يُفكر مَليًا كيف يَعدو من كبوته التي حَلت ولم تَرحل، فقام من فوق الأريكة ورنا ناحية أحد المقاعد الخشَبية وأمسك بهاتفه ثم مسح الأتربة التي تجمعت فوقه، وحاول تذَكُر متى كانت آخر مَرة يستخدمه فيها؟ فلم يتذكر، ألقى به بعيدًا فوقع على الأرض وتهشمت شاشته ولمعت في باله ذكرى تناساها مع مرور الأيام الخوالي، سار لمَكتبه داخل غرفته الخاصة وفتح أدراجه وأخذ مطرقة كَبيرة ثم سحب البساط الذي يغطي الأرض، وبحث بعينيه عن قطعة سيراميك معينة فوجدها وضربها بالمطرقة حتى تهشمت، وشرع يزيل ما تكون من الرمال وقطع السيراميك المهشمة فبرزت علبة صغيرة ذات لون أحمر، التقطها ثم فتحها بنهم فلمعت الماسة الصغيرة التي فيها إثر ارتطام الضوء بها، تذكر راغب هذه القطعة الصغيرة وقصتها حينما وجد

هذا الماس داخل جثة (قمر)، وقبل أن يسلمه للعصابة قَرر الاحتفاظ بواحدة مِنه للقضاء على فضوله القاتل، قام من الأرض وأبعد الأتربة والرمال التي تعَلقت فيه وجَلس على كُرسي مَكتبه يفكر فيما سيفعله الأيام القادمة بهذه الماسة.

رن هاتفه الأرضي فتسربل راغب بالخوف واهتز حتى وقعت نظارته الطبية، لكنهُ هدأ بعد ثوانٍ ورفع سماعة الهاتف دون أن ينبس بكلمة واحد فاستمع إلى صوت يعرفه:

-راغب إزيك؟

رد بصوت متهدج:

-الحمد لله، أنت عامل إيه؟

-أنا كويس يا حبيبي، محتاج أتكلم معاك شوية، بقالنا فترة طويلة متقابلناش، وفي مواضيع كتيرة عايز أفهمها منك.

نفث راغب نفسًا طويلًا، وقال:

-مش وقته، لما أفوق هجيلك متقلقش.

سعل الآخر لكثرة ما قضى عَليه من سجائر، ورد:

-يا عم لو مش عايز تشوفني وتطمن عليا، تعالى حتى اطمن على خالتك لأنك وحشتها وخايفة تجيلك لتزعجك، وأقعد مع ابن خالتك شوية يا أخي، موحشتكش قعدتنا.

تبسم رغمًا عنه وهو يقول:

-حاضر، هجيلك في المكتبة بتاعتك ونتكلم، بس أفوق شوية.

-ماشي اتفقنا، مع السلامة يا حبيبي.

وضع السماعة في مكانها، نظر راغب لملابس خروجه التي لم يَرتديها منذ فَترة، ولم تطأ قدمه الشارع لأيام طويلة، لكنه أذعن مَرة أخرى إلى الماسة وشرع يفكر كيف يستخدمها للانتقام من صاحب الصوت الهادئ.

*****

المقر الخفي للمنظمة، الرابعة فجراً.

-انتهى الوقت وآن لنا أن نغضب كما غضب الإله من الملائكة الساقطين.

قالها سِيد الأكوان بملامح جادة، وغضب يعتلي وجهه لأول مَرة منذ وقت طَويل، فرد ذو الشارة الحمراء:

-أوامرَك يا سيد الأكوان.

رفع سبابتهُ وأردف:

-ابحث عن الماسة المفقودة عِندَ راغب، وباقي أفراد العصابة الفقيرة التي اختطفته، ولا مانع لك من تجريد راغب مِن كرامته، وتوقيع عقوبة عدم الإخلاص عليه في حالة وجود الماسة معه فقط.

قطب ذو الشارة حاجبيه وهز رأسه مُتفهمًا لأوامر سيده، وقال:

-أوامرك مُطاعة إلى ما لا نهاية يا سيدي، لكني...

أنهى كلماته دون أن يكملها، وفَر بعينيه بعيدًا عَن موضع سيد الأكوان، ففهم الآخر مغزاه ورماه بهدوء:

-أنت متخوف من عدم وصولكم للماسة، وبالطبع تَعلم أن فَتح البوابة يتطلب وجود الماس كامل العَدد بلا نقصان؛ لذا لا مجال للخطأ أو الفشل، إن لم تجدوا الماسة المفقودة، فلن نَقدر على فتح البوابة إلا بَعد 80 عامًا.

مضى سيد الأكوان وهو يتحدث إلى كرسيه المليء بالجواهر والأحجار الكَريمة ويتوسط الحجرة وجَلس عليه، ثم أغمض عَينيه في نوع من الاستكانة للوصول لحَل دون إراقة دماء، لكن وجهه تجهم مَرة ثانية، وأكمل حديثه:

-نَفذ ما أمرتك به الآن، وأرجو أن تبلغني بآخر المُستجدات، وعليك بألا تَترك شقًا شاغرًا له علاقة بالماسة المفقودة ولا تبحَث فيه.

-كُل تعليماتك سيفًا حادًا على رقبتي.

-اذهب، وسيُساعدك القدماء من أرضهم الخامسة غافرين آثامنا التي اقترفناها.

تحَرك ذو الشارة نَحو باب الحجرة العملاق الذي يناسب ارتفاع المكان الكبير وألقى لسيد الأكوان تَحيته وهو يتأمل جسده البدين، وملابسه الفضفاضة، ثم أوصد الباب بصعوبة لثقله، مُفكرًا فيما سيقع على عاتقهم إذ لم يجدوا الماسة المفقودة.

*****

أوقف مخيون سيارته أمام المقابر ونزل مِنها، وبيده حقيبة ثم كَتَب ناحية بوابتها الرئيسة، فرن هاتفه أجاب واستمع إلى صوت أحد رجاله

وهو يقول:

-وصلنا السويس يا مخيون ومَركب الصيد هتتحَرك النهاردة الفَجر، هنستناك في المكان اللي اتفقنا عَليه، وأنا ظبطت مع صاحب المَركبة يحط الصَندوق في حتة أمان، وأول ما نوصل أوروبا حبايبنا هناك هيقوموا بالواجب.

- ماشي، سلام.

نظر بعينيه بعدما أغلق الهاتف فوجد شابًا في العشرينيات يَرتدي جِلبابًا أسود مُهترئ، وبدنه نَحيف كأنه يُسرق مِنه طعامه حينما يوضع على المائدة، إن كان لديه مائدة من الأساس. حَرك مخيون ساعده فجرى ناحيته الشاب، وجاهر بصوته قائلاً:

-أيوه يا غالي خير؟

كانت بشرته سوداء داكنة، أو ربما يعتليها الاتساخ لقلة استحمامه، فاشمأز مخيون خاصة بعدما تعمقت رائحته داخل أنفه، فأخرج ورقة مالية بقيمة كبيرة وناولها له، فتبسم الشاب وبانت أسنانه الصفراء التي يعتليها السوس، وسأله وعيونه تَلمع كالقمر:

-أوامرك يا غالي.

حَك رأسه، وقال:

-عايز أدخل المقابر، هاخد جثة، أحطها في صَندوق معايا في العَربية، وهديك اللي أنت عايزه.

-اللي بتطلبه ده صعب أوي يا غالي.

ناوله مخيون حزمة كبيرة مليئة بالمال، وتبسم رغمًا عنه في وجهه. فمضى الشاب وجَذبه خَلفه، وسارا الاثنين حتى توقف الشاب أمام أحد القبور التي دون عليها اسم (قمر) اغرورقت عيناه الخضراء بالدموع، وتراجع الشاب للوراء وهو يقول بتوتر:

-أنا هسيبك يا باشا هنا براحتك، وشوية وهجيلك.

خشى الآخر أن يُبلغ عَنه، فسأله:

-مالك يلا خايف كده ليه ورايح فين؟

-والله يا غالي القَبر ده ملعون، وبيحصل مِنه حاجات غَريبة بَليل، وأنا من وقت ما جيت هنا بعد ما عم رجب اختفى بحاول مقربش من القَبر ده بليل.

ضيق مخيون عينيه واستفسر:

-رجب مين؟

حرك شفتاه وقال:

-ده التُربي اللي كان قابلي هنا، واختفى.

نظر حوله بخوف، وأدار يده فوق رأسه وأكمل:

-أعوذ بالله يعني بيقولوا إن القَبر ده هو السبب في اختفاء عم رجب ب....

أخرج مخيون من جيبه مسدس به كاتم للصوت ووجهه ناحيته فسكت الشاب ولم ينبس بكلمة وأذعن من أحد الحوائط بخوف وبدأ مخيون

في عمله، كان الهواء بارد والسماء مُلبدة بالغيوم، والرعد يتطاير بين السحاب، رفع الشيطان جبينه فتلاقى مع قطرات المَطر الخفيفة، وأخرج من حقيبته مطرقة كبيرة، وضرب القفل الحديدي، فتهشم وسقط قتيلًا على الأرض التي امتلأت بالطين جراء اختلاطها بالماء، ثم مَد ساعديه وفتح باب القَبر فتوقف الزمان وكل شيء حوله، حَركة الشاب، وتساقط الأمطار، وصوت الرعد، وسُدت أذنه بطنين قَوي، وفقدت قدماه القُدرة على الوقوف، أذعن للضعف فسقط على الأرض، واستمر بالنظر لداخل القَبر فلم يتبين شيئًا لشدة ظلامه الداخلي،

ظَل هكذا حائرًا بين الواقع والعالم الآخر، وبعد دقائق من توقف كل شيء، ظهَر فستان أسود طَويل يَعلم جيدًا مَن صاحبته، فقد اشتراه لابنته قبل دخوله السجن بعام واحد، وأخذ الفستان يَقترب منه بطيئًا حتى ظهرت الشيطانة الصَغيرة بجسدها الذي يَعرفه بحق تبسمت له فبادلها بابتسامة أكبر وقال بصوت مبحوح:

-وحشتيني.

توردت وجنتاها وهي تَمد له ذراعها فأمسك به، وجذبته للداخل، وأُغلق الباب الحديد وحده بهدوء دون وقوع ضَجيج، وفي الخَلف قبعَ الشاب بمكانه يتابع المَشهد في سبات طَويل، وبعد سويعات بدأ يفيق ومضى يصرخ كالمجنون في القبر قائلًا:

-الشيطانة بلعت الراجل، الشيطانة بلعت الراجل.

*****

(10)

صباحًا أمسك راغب هاتفه الأرضي بعيون حمراء يبتلعها وحش النوم، ووضغط على مجموعة من الأرقام وأصغى لرنات الهاتف، حتى ظَهر صوت أنثوي حدثه بهدوء:

-ألو مساء الخير، ممكن أكلم نيرة؟

-حضرتك مين؟

تنهد وأجاب:

-أنا دكتور راغب زميلها.

-حاضر ثانية واحدة.

وضعت سماعة الهاتف فوق طاولة خشبية فأصدرت صوت احتكاك بأذن راغب الذي راح يُفكر مَليًا فيما سيقوله لنيرة، زادت ضربات قَلبه حينما سمع صوت يد تمسك بالهاتف وتقول بشوق:

-راغب؟ راغب أنت فين كل ده؟

لم ينبس بكلمة، فأكملت:

-طمني عليك، أنت بخير؟

-أنا آسف يا نيرة، بعد آخر مَرة اتقابلنا واتكلمنا، الدنيا اتهَزت تَحت

رجلي، الكون اتزلزل ووقع فوق راسي بلاويه اللي مبتخلصش.

صمت وكَن ناحية الاضطراب المُقلق، فلحقته بصوتها الهادئ:

-راغب؟ راغب أنت بتعيط؟

فور سؤالها انهمر باكيًا فأغرق وجهه وساعده الأيمن حيث نام عَليه، وتكبل بالوجوم والحَنق وعصفت به نيران أحاسيسه حتى احتدمت بقوة، فحاولت نيرة انتزاعه من هذه الدوامة وقالت:

-أرجوك يا راغب متعيطش كفاية، أنا هكون جنبك مش هسيبك.

-أمي ماتت، وكمال اتقتل ومراته سافرت بَره بسببي، وأنا اتلعنت وخسرت كُل حاجة يا نيرة، حتى أنتِ خسرت...

قطعته باستعطاف وصوتها يقارب حَد البكاء:

-لا يا حبيبي، لو خسرت كل حاجة، فإنتا مخسرتنيش، اهدى وكل حاجة هتكون أفضل، أنت ملكش ذنب في اللي حصل، موت والدتك وكمال قضاء وقدر منقدرش نعترض عَليه.

-قضاء وقدر بسببي.

-لا بسبب ربنا وحده.

سحب أنفاسًا كثيرة كثبت من أنفه وسارت داخل بدنه، ثم خَرجت من مكان دخولها بنيران كثيفة لاشتعال وجدانه، فتوقف بَعدها عن البكاء، وسألها:

-نيرة، البيبي لسه جوه بَطنك ولا حصله حاجة؟

صمتت نيرة طويلًا ثم بَكت دون صوت، فكرر راغب سؤاله مرات عَديدة، وحينما لم تجبه تَلبد بالسواد وأيقن بُعد جَريمتهما الكاملة، حيث خصب البويضة وتكونت جنينًا، وهي تخَلصت منه، فلعن ذاته التي قتَلت كثيرين.

-نقدر نصلح اللي حصل يا راغب مع الوقت، بس سامحني أنا مكنتش عارفة عَنك حاجة، لا بتروح الشُغل، ولا في حَد يعرف عَنك حاجة، مَصيري معاك كان مَجهول، وأنا خوفت، خوفت اتفضح وأنزل أهلي لسابع أرض، علشان كده تخَلصت من البيبي.

-أنا محتاج أبعد يا نيرة، هبعد خالص، علشان مأذيش حد تاني بدون قَصد كفاية أمي وكمال وال...

توقف لسانهُ عن الكلام فجأة، فوضع سماعة الهاتف على طاولة أمامه، ثم سحبه من الكهرباء حتى لا يتواصل معه أحد.

*****

ظُهرًا دلف راغب للمطبخ بجسده الذي أصبح نَحيفًا لقلة أكله، وحَرك عيونه التي ازدانت باللون الأحمر، وشعره الكثيف ووقف أمام الثلاجة، سعل بقوة حيث أصاب صدره البَرد بسبب ملابسه الخَفيفة التي تتناقض مع طقس الشتاء، مَد ساعده وفتح باب الثلاجة محاولًا تذكُر متى آخر مَرة أدخل فيها طعامًا لجوفه؟ كاد يسقط وهو يطالع الثلاجة الخالية من كُل شيء حيث انخفض ضغط دمه لبقائه بدون طعام لفترة، تعَلق بباب الثلاجة والصداع يضربه بمطرقة فوقع على الأرض، وهو ينظُر لبُرتقالة كبيرة كاد يضربها التعَفُن وبهت لونها،

فالتقطها وراح يقضمها بفمه كالحيوانات، حتى أنهاها وهو يتقزز من مذاقها السيء واللاذع، ثم قام بجذعه وتجَرع مياه كثيرة، وجَلس على الأريكة في الصالة، والتلفاز يعمل أمامه وبه إحدى القنوات الإخبارية التي تتباهى مذيعتها الحسناء بشعرها وصفاء بشرتها من وقت لآخر، وهي تقرأ الأخبار والأحداث المهمة دون خبرة إعلامية كافية.

في الثامنة مساءً استيقظ راغب على صوت مذيعة تتحَدث في التلفاز، وتقول بطريقة جادة يملؤها الفَخر:

-الشُرطة عثرت أمس على جثث الضحايا اللي اختفوا من فترة ليست بالقصيرة في حادث غامض وهما «هيام الوكيل، وحسين المُحمدي، وحسن محمود، والطفل رامي فرادس»، وللمشاهدين اللي كانوا متابعين معانا القضية عارفين كويس قصة اختفاءهم والبحث عنهم اللي استمر لفترة. الشُرطة عثرت عَليهم في مَنطقة خالية من السكان وقريبة من التجمع الخامس، والجثث أجسادها كانت في حالة غير طبيعية بالمَرة، وفيها أثار تعذيب عنيف جدًا، الشرطة كمان لاقت مع كُل جُثة فلاشة متسجل عَليها فيديو، كُل شخصية بتعترف بشيء سيء عملته، والتحقيقات حاليًا شغالة بشكل موسع وكبير للوصول للجُناة،

بعد أن أثبتت الفيديوهات تورط المُجرم الخطير «غريب مخيون»، واللي كان لسه خارج من السجن، وتورط بنته (قمر) بأنها السبب الرئيسي في تعذيب الأربع ضحايا وموتهم، بالإضافة إلى إن المعلومات اللي معانا كشفت إن (قمر) اتقتلت في حادثة طَريق المطار الشهير، اللي أكد إن في صراع كبير بين عصابتين أجنبيتين لم يتم التعرف عَليهم لحد دلوقتي، بالإضافة لعصابة ثالثة وهي عصابة غريب مخيون، واللي

اختفت ومافيش عَنها أثر لحد دلوقتي.

أفاق راغب وأنصت جيدًا لكل كِلمة قالتها المذيعة وبدأ في ربط خيوط اللعبة التي زُجِ فيها دون ذنب، فأيقن أن هناك ثلاثة عصابات، تصارعت اثنتان فيهما على الماس الذي كان بداخل جسد (قمر)، أما العصابة الثالثة تحت قيادة غريب مخيون، اختطفت الأربعة ضحايا وقامت بتعذيبهم للانتقام منهم، كاد يفقد عقله حقًا لولا رنين هاتفه الأرضي، فقام ووضع سماعته على أذنه وقال:

-ألو

-أيوه يا راغب، أنا فهمي ابن خالتك، عايزك ضروري تجيلي في موضوع خطير.

قطب حاجبيه وسأله:

-موضوع إيه يا فهمي؟

-صدقني مش هينفع أقولك في التليفون، لازم تجيلي. سلام دلوقتي.

أغلق راغب الهاتف واتجه سَريعًا لغرفته بدل ملابسه وارتدى قميصًا ومعطفًا بُنيًا، وسروالًا من الجينز، وأخذ مفاتيح شَقته وكَتَب من الباب. وصل لمكتبة ابن خالته بعد ساعة وسار بساحتها ثم دلف ناحية مكتب فهمي، وحينما شاهده الآخر قال:

-تعالى يا راغب بسُرعة أقعد عايز أوريك حاجة.

جلس راغب وسأله بقلق:

-في إيه؟

-إيه؟

-إن كُل اللي حصل من جثة قَمَر ده بسبب القدماء، أنا مش قادر أفهم إيه الربط بين الماس والقدماء، بس اللي متأكد مِنه إن الاتنين ليهم علاقة قوية جدًا ببعض.

مسح فهمي وجهه، وقال:

-أنا حقيقي مش فاهم حاجة، كمل قراءة يا راغب يمكن نوصل.

عاد مَرة أخرى للقراءة ووصل للصفحة الخامسة ووجد فيها رسمة بالحبر لبوابة صَخرية ذات لون أسود داكن تفصل بين أرضين وبها رسومات لفصوص كالتي وجدها في جثة قمر. وقرأ سطورًا مَكتوبة أسفل الصورة:

{ إنها بوابة القدماء، تُفتَحَ مَرة كُل ثمانين عامًا إذ تحققت جميع شروطها المميتة، وهي قَتل مئة طِفل لم يتجاوزوا ربيعهم الأول، ووضع مئة ماسة صَغيرة تجلب من جَزيرة بعينها في قارة أوروبا، ولابد أن يكون عَدد الماس كاملًا بلا نُقصان نهائيًا ويوضَع بمكان مُحَدد يتغَيَر كل ربيع، وإذ قَل عدده عَن مئة ماسة، ومَرت سَنَة قمَرية تَفشل المحاولة، ولابد مِن تِكرارها بَعد ثمانين عامًا.}

توقف راغب مَرة أخرى فتابعه فهمي بعيون متسعة، قام وسار لمُنتصف المَكتبة ثم وضع الماسة على الأرض وبحَث حَوله فرأى مطرقة تقبَع فوق مقعد خشَبي صغير، أمسكها وضرب الماسة فوجدها شَديدة الصلابة ورغم قوة الضَربة لم تتأثر كثيرًا سوى ببعض الكسور، فكرر ضرباته حتى تهشمت الماسة، وسط ذهول من فهمي الذي سأله:

-أنت بتعمل إيه يا راغب؟

رد وهو يلهث:

-بمنع فتح بوابة الملاعين.

-فهمني؟

وضع المطرقة في مكانها، وأردف:

-في بوابة بتتفح كل 80 سنة بيفتحها القدماء، وعلشان تتفح لازم يدبح 100 طفل، ويتحط 100 ماسة في مكان معين لسه معرفتوش.

-أيوه يعني القدماء دول بشر وده لقبهم ولا دول شياطين؟ وبعدين البوابة دي بتعمل إيه؟ راغب سامحني أنا عارف إن الموضوع خطير بس مش مقتنع بكلامك، حاسس إنه أقرب للخيال.

أنهى كلماته وأشعل سيجارة وهو يتأمل جسد راغب حيث نقص وزنه كثيرًا عن آخر مَرة رآه فيها، فرد الآخر بحنق:

-فهمي لو تعبان امشي، ولو مش مصدقني امشي، أنا مش هتحرك إلا لما أفهم على الأقل اللعبة اللي اتحطيت فيها دي أطرافها إيه؟

-أنا معاك للأخر يا راغب.

تَركهُ ليأكل محتويات الكتاب بعينيه، فقرأ في الصفحات التالية:

{ كان قدَرنا سيء وحَيواتنا مَضَت تَفتَقِر القيم والمبادئ فعَصَف بنا الليل، وقُتلَ نِصف جَيش الحامية المَلكية، ماتَ الكَثير مِن الأطفال الصِغار، ونَقَصَ الغذاء، وسلب معه الآلاف من الشيوخ، الجَميع بكى

الغلاف وبين الماسة فوجدهما مرآتين لبعضهما، أشار لفهمي بأن يغلق باب المَكتبة ويخرج العمال منها، فنفذ طلباته في ثوانٍ مَعدودة بعدها ذهب راغب لمكتب خَشَبي صغير وجلس على مقعده ووضع أمامه الكتاب ثم فتحه وشرع يقرأ بنهم محتواه الذي كُتب بخط اليد.

ازدانت الصفحة الأولى باسم مؤلف الكتاب وهو «الناظري بن بيقاع»، وتاريخ ميلاده عام 1910م بشبه الجزيرة العَربية، ومن ثم انتقاله وحياته بإحدى الجزر التي عاش فيها. وجاءت الصفحة الثانية للكتاب في هيئة تَحذير هام من الانصياع لأوامر القدماء لأنهم النَسل الأول للشيطان بعدما سقط من الجنة، وابتعدوا عن راية الله.

لم يسمع راغب من قبل عَن هؤلاء القدماء، فهو لا يعرف سوى القدماء المصريين فقط أما هؤلاء القدماء الشيطانين فلم يُقابلهم من قَبل. وفي الصفحة الثالثة من الكتاب كانت المعلومات كثيرة ومكتوبة في هيئة 10 نقاط مهمة، يندرجون تحت جملة تحذيرية وهي «لا تقرأ بصوت، ولا تتذكرهم كثيرًا، وابتعد عَن شرهم»، أما النقاط العشر فكانت على النحو التالي:

1 - القدماء لعنة، قوة لا تُغفَل ولا تُركَن، هُم نَسل الشَيطان الأول.

2 - زرعوا في أرضنا الفِتنة، فلم يرحمونا.

3 - أوصدوا في وجوهنا أبواب الجَنة، وفتحوا أبواب الجَحيم على مصراعيها.

4 - حاولنا الوقوف أمامهُم في الحادثة العظيمة، لكنهم استزادوا من ضعفنا قوة، ومن بأسنا صلابة.

5 - يسكنون الأرض الخامسة منذ حياتهم الأولى، وأشكالهم تختلف، لكن ما يُميزهم أنهم يسيرون على أربعٍ، وأحجامهم ضخمة، ويتلوَّنون بين الأحمر والأسود.

6 - يحاولون القضاء علينا.

7 - مهما حدث إن وجدوا في أرضكُم لا تتهاونوا معَهم

8 - ولا ترحموهم، لأنهم نَسل الشيطان.

9 - يدخلون البُلدان بوجوه تزدان بالسماحة والحب، ويتعاملون بشَريعة الله الواحدة الوحيدة، فيخدعون مَن حولهم، ويقومون بأفعالهم الشيطانية في الخفاء.

10 - كتبتُ لكم هذا الكتاب وأنا أعيش أسوء أيام عمري لأحذركم من بطش القدماء وشَرهم الغير مُتناهٍ، ولتعلموا إننا سنتصدى لهم بكل ما أتينا مِن قوة، حتى نَرفع رايتنا.

الناظري بن بيقاع

مُنتَصَف القَرن العشرين.

مسحَ راغب حبات العَرق التي نبَتت على جبينه وتوقف عَن القراءة بسَبب ضربات قَلبه المتسارعة، ومضى يُفكر في باله ويقول لفهمي الذي وقف أمامه في صمت:

-القدماء دول شياطين على حسب ما فهمت من كلام مؤلف الكتاب، وبيلعنوا أي مكان بيدخلوه، والماسة بتاعت عصابة صاحب الصوت الهادئ مَرسومة على غُلاف الكتاب، ده مالوش غير معنى واحد.

أشعل سيجارة وناول راغب هاتفه المحمول، التقطه ونظر على صورة كانت بالهاتف، فجحظت عيناه وظل صامتًا، حتى حدثه فهمي:

-أنا مش فاهم إيه اللي بيحصل؟، بس كان لازم أوريك الصورة دي.

-الصورة دي جاتلك منين؟

-سعيد شريكي في المَكتبة سافر تركيا علشان شحنة كتب لجلال الدين الرومي عليها طلب كبير في مصر، المهم هو يعرف أخينا اللي في الصورة ده كويس لأنهم جيران، فلما شافه هناك سلم عليه وقاله تعالى نتصور، التاني خاف ورفض ومشي فسعيد صوره وبالصدفة بيحكيلي قولتله وريني الصورة قام بعتهالي.

جحظت عيون راغب أكثر محاولًا استيعاب ما يسمعه، وقال بصوت متهدج:

-مش معقولة الصورة دي غلط، أنا شوفت كمال ميت قدامي لما خالتي كانت مخطوفة مع أمي، إزاي هو عايش وفي تركيا كمان؟

أنهى سيجارته وأشعل الأخرى وحبات العَرق تغزو جبينه، وأجاب:

-ما هو ده نفس السؤال اللي سألتهوني خالتك لما وريتها الصورة لأنها طبعًا حكتلي كل اللي حصل معاكم لما اتخطفتوا.

اغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول:

-يعني معنى كده كمال لسه عايش، والعصابة ضحكت عَليا، وكمال خدعني وعايش في تركيا؟

رد وهو يهز رأسه حَليقة الشعر:

-دي الحقيقة للأسف يا يابن خالتي.

أخرج راغب جواب كمال الذي وجده بشقته، وناوله بيد تَرتعش بقوة إلى فهمي، فأمسكه وقرأ ما فيه، ولاذ بالصَمت، فسأله راغب:

-هي الصورة دي اتصورت إمتى؟

-سعيد بعتهالي إمبارح يعني معنى ده إن كمال خدعنا كلنا ولسه عايش بَره، ومش بعيد يكون قبض تمن بيعته.

-للأسف مافيش خيار منطقي تاني يخرجه من الموقف ده يا فهمي، أنا اتخدعت في صديق عمري، وخسرت أمي وابني وكل حاجة حتى مشاعري وصحتي.

قام راغب من كرسيه بعدما أنهى كلماته وراح يضرب المَكتب بعنف حتى لمح كتابًا قَديمًا في صف الكتب التاريخية، فسأل فهمي بدهشة:

-إيه الكتاب اللي هناك ده؟

رنا الآخر بنظره وقال:

-أنهي واحد؟ الصف اللي بتقول عليه ده كله كتب تاريخية لسه جيالي.

مضى راغب ناحية الكتب، وانتزع واحدًا منهم ذا غلاف أسود وطَويل وأوراقه كثيرة، وكاد يقع من يده لثقله، وقد جذب انتباه راغب حيث احتوى غلافه الخارجي على صورة للماسة التي أخذها من العصابة، وحمل الكتاب اسم «القدماء» ، أخرج راغب الماسة من جيبه وقارن بين

وطلب العَون، لكن العناية تأخرت، زاد الحُزن والغَم والخَوف من المَصير، لكن الله لم يترُكنا، وأرسَل لنا عونهُ في اللحظات الأخيرة قَبل وقوعِنا فَريسة في يَد كائنات الظلام، فوقع حَدث عَظيم زلزل كيان الجَزيرة وهو ظهور......}

تمت.

إلى اللقاء مع رواية معرض القاهرة الدولي للكتاب 2020م، حيث ينغمس الحَدث الذي زلزل الجزيرة وكشف سر القدماء.

إهداء خاص لمن ساعدوني في خروج هذا العمل بمعلوماته الكافية، وتفاصيله الدقيقة التي لم أدرسها في عالم التشريح:

-دكتور علي مغنم.

-دكتور أسماء عبد الصادق.

-دكتور حسين السيد.

وللداعمين لي بشكل دائم:

-دكتور عيد إبراهيم.

-فادية شمعون.

-أحمد مسعد.

-أسيا سليمان.

-قراء قصص #يوم_مرعب.



الكاتب في سطور:

سامي ميشيل

من مواليد القاهرة عام 1998م، يدرس في كلية الأداب قسم الإعلام، ويعمل محررًا صحفيًا في جريدة الشروق.

له روايتان سابقتان الأولـى خطايا آدم، والثانية غرفة الموتى،

بالإضافة للكثير من القصص الإذاعية على الراديو واليوتيوب، ويكتب أسبوعيًا قصص رعب عبر حسابه الشخصي بموقع «الفيس بوك» تحت عنوان (يوم مرعب)

لمتابعة الكاتب سامي ميشيل عبر حسابه بموقع «الفيس بوك» اكتبوا الرابط ده في السيرش الخاص بالفيس بوك أو بجوجل https://www.facebook.com/samymicheelle

أو لمتابعة صفحته على الفيس بوك

http://www.facebook.com/samymichellee



للترجمة والتدريب والنشر والتوزيع

info@ibda3-tp.com

dreidibrahim@gmail.com

ibda3bookstore@gmail.com

الأرض الخامسة

القُدماء

أحداث متشعبة في سِرك كبير أبوابه مفتوحة على مصرعيها، طبيب تشريح يرى ما ليس له تفسير بسبب جثة سيطر عليها القدماء، وعلى الناحية الأخرى جلس كفيف، وقعيد، وامرآة في الأربعين من عمرها، وطفل صغير، في غرفة واحدة يُغلف البرد جُدرانها، فطارت الراحة من عيونهم، وتغلغل الخوف في أبدانهم، يتنفسون بصعوبة، وأمعائهم تُصدر أصواتًا تَنُم عن هَلع جسيم، وعقولهم تفكر في سؤال واحد "لم نحن هنا" ؟ ماذا فعلنا ؟، و"ما الرابط الذي يجمعنا" ؟، لا إجابة واضحة، ولا مشيئة تعلو فوق مشيئة التعذيب النفسي والبدني حيث يتعرضون له في أوقات مُختلفة على يد من لا يَرحم.

غلاف : إسلام مجاهد

